



مذكرات عن خفايا الانقلابات السورية الاربعة ، كتبها شاهد عياني اسهم في تخطيط الاعمال الانقلابية وفي تنفيذها . حقائق ووثائق واسرار لم تنشر بعد

الاهداء

الى من آمن بحقه في الحياة ، وناضل في سبيـــل الوطن والكرامة والحقيقة اقدم هذا الكتاب .

المؤلف

صح ٤ ع ٢٩ آذار ١٩٤٩ الانقلاب الاول حسني الزعيم

ص٤٧

بين ١٢-١٤ آب ١٩٤٩ الانقلاب ضد حسني الزعيم بزعامة الحناوي

ص٧٤

---

١٩ كانون الاول ١٩٤٩

ص١٠٥

---

٢٥ شباط ١٩٥٤ [illegible] الشيشكلي

ص١٢٧



المؤلف

فضل الله ابو منصور

مقدمة

الحوادث الواردة باختصار في هذا الكتاب الصغير ، لو مرت باحد محترفي الكتابة والتأليف من أهل القلم ، لوضع عنها اسفاراً ضخمة تملأ المكتبات .

إلا أنها مرت برجل سيف وقرم قتال ، فرواها خالية من تنمىق البديع ، بعيدة عن بهرجة البيان ، وتعمد فيها الايجاز المقتصر على مجرى الحوادث ، دون اي تعليق أو شرح أو توسع في استخلاص العبر ، فاذا هي تقرير عسكري اللهجة ، فيه نبرة الجندي المناضل ، واسلوب القائد الذي لا يهتم الا بالاعمال .

رجال الجبل ذوو شهرة واسعة في ميادين النخوة والشجاعة والاقدام ، وفضل الله ابو منصور بينهم من أشد الرجال شكيمة وأصعبهم مراساً ، واسرعهم الى النجدة والمبادرة يوم الروع . فهو يؤمن ايماناً كلياً ثابتاً بانه يناضل في سبيل الخير ، ويعمل على صراط الحق ، وبانه لا يستطيع إلا ان ينتصر في كل

معركة يخوضها ، وكل ميدان ينزل اليه .

وهو يعترف ، في توطئة هذا الكتاب ان الحياة العسكرية راودت احلامه وهو فتى امرد على مقعد المدرسة ، وان صورة الحياة المثلى في ذهنه لم تكن الا فروسية ومغامرة وسلسلة طويلة من المعارك والبطولات .

كنا ، ذات يوم ، نفراً من الاصحاب ، نقلب صفحات كتاب عن حفريات بابل وأشور ، ونستعرض صور التماثيل والانصاب والقصور والقلاع القديمة ، وهو ساهم ، شارد الفكر ، تائه النظرات ، كأنه ليس معنا . واطلت علينا من احدى الصفحات صورة خيالية عن احدى معارك نبوخذنصر ، فما كاد أحدنا يسأل : « ما هذه المعركة ؟ » حتى انتفض ابو منصور كانه أفاق من نوم عميق ، واكب على الكتاب ، وفي عينيه وقسمات وجهه مئة سؤال !..

وكأني بالقدر اراد أن يشبع نهمهذا الجندي قتالا ونضالا ومغامرات ، فجعله في فترة من اخصب فترات التاريخالسوري بالهزات الخطيرة والحوادث الجسام . فاذا به يفتح عينيه على اهوال الحرب العالمية الاولى ، ويتحمس لابطال ثورة جبل الدروز سنة ١٩٢٥ وهو فتى في الثانية عشرة من سنيه ثم ينخرط في سلك الجندية ويسهم في طرد القوات الفرنسية من الشام ، ثم ينطلق كالاعصار في خلال الانقلابات الاربعة التي

توالت على دمشق ، ناهيك باعماله المدهشة في حرب فلسطين ولا سيما معركة « مشمارهايردن » — وهو يسميها معركة كعوش —

ان هذا االزخم المتدافع ، وفي صميمه ايمان بالحق والخير ، هو الذي وضع هذا الكتاب، لا طمعاً بشهرة أدبية، ولا حباً بالتباهي ، بل لاعتقاده بان الحوادث التي يرويها — وهو منها وفيها — ليست الا امانة في عنقه للتاريخ. وها هو يؤدي هذه الامانة بصدق واخلاص ، وللقارىء بعدئذٍ أن يحكم له ، او عليه .

ابو زيكار



توطئة

كلمة لا بد منها اقدم بها نفسي للقارىء .

رأيت النور في بلدة صلخد ـ جبل الدروز ـ عام ١٩١٣ .

في مسقط رأسي تلقيت الدروس الابتدائية ، ثم انتقلت الى السويداء ، حيث واصلت التحصيل في المدرسة المتوسطة طوال ثلاث سنوات ، فبلغت الصف الثالث الثانوي حسب البرنامج القديم .

كنت اشعر بميل شديد الى خوض المغامرات ، ومجابهة الاخطار ، دون اي تفكير بالعواقب ، فاتسمت اعمالي بالطيش والنزق ، ودفعتني حدة الطبع الى مشاجرات ومعارك خرجت منها وفي نفسي اعتزاز بالنصر ، وفي رأسي وذقني ورقبتي جراح بليغة حفرتها الحجارة والمدى والبونيات !

وكنت اكره المدرسة ، وافضل شؤم البوم على سحنة المعلم ، لذلك كنت اتابع دراستي بطريقتين اثنتين لا ثالثة لها :

ـ او اهرب من المدرسة لابحث عن مغامرة اشبع بها نهمي الى القتال .

– او اشاغب في الصف رغبة مني في تحدي الاساتذة واشاعة الفوضى .

كان الشيخ قاسم رعد يعلمنا الصرف والنحو ، وكانت علاقاتي به متوترة دائماً ، لاني ما كنت اعير شرحه اي انتباه.

وذات يوم ، بينما كان يتغزل بـ « كان واخواتها » و« حتى » التي حتحتت قلوب الناس وتركت حسرة في نفس الكسائي ، اخذت اصوّر بكل عناية وجهه المتجعد ، ولحيته ، ولفتّه على لوح حجري كان بين يدي .

دنا مني خلسة وانا نشوان بحميا فن التصوير ، وصاح بي:

– ما هذا ؟ هات اللوح ، يا ... أرني ما تكتب حالا!»

وكان مسلحاً بخيزرانه لها لسعة الزنبور ، ضربني بها على وجهي ، فانتزعتها من يـــده ، ودفعته عني ، وهربت من المدرسة ، فــكان هذا آخر عهدي بها .

وقد اسفت لاني لم استطع ان اودع معلم اللغة الفرنسية ، الاستاذ ميشال حداد .

كنت احب هذا المعلم ، واتفاهم معه دائماً ، لانه لم يكن يذوب حباً بالشيخ قاسم .

ولـما ابتعدت نهائيـــاً عن المدرسة أخذت أحس بالعبء الثقيل الذي تفرضه المسؤولية على كل من يجابه الحياة وحيداً..

رأيت ما يعترض سبيلي من الصعاب والعقبات ، فما كان

ذلك إلا ليزيدني عزماً وقوة ونشاطاً ، لأني اعتبرت تلك العراقيل ضرباً من التحدي ، ولم أكن من الذين ييأسون أو يعرف الخنوع الى نفوسهم سبيلا .

لم يخطر في بالي لحظة واحدة انه من المحتمل ان اكون تاجراً يقبع في حانوته بانتظار الصفقة الرابحة في هدوء الحياة الهانئة ، ولا موظفاً يفني العمر وراء مكتبه في احدى الدوائر بين الملفات المهترئة والاضبارات المشبعة بالغبار ، ولا استاذاً في مدرسة يرهقه شغب الصغار ، ولا طبيباً تلاحقه صور الامراض ، او مهندساً يشرد عقله بين الخرائط والتصاميم ، بل كنت ارى الحياة فروسية ونضالاً وسلاحاً وقتالاً . . . كنت اراها جيوشاً تزحف ، ومعارك تلمع فيها البطولات ، لذلك قررت ان اكون جندياً .

فحب الجندية والقتال كان قد تأصل في نفسي من زمان ، من أيام الثورة الدرزية على الفرنسيين ... كنت اتشوق الى سماع اخبار الثوار ، وكانت الاحاديث عن بطولاتهم تهزني ، تكهربني ، تجعلني قنبلة تريد الانطلاق .

وفي اثناء الثورة ما شعرت بالخوف مرة واحدة — وانا يومذاك في الثانية عشرة — وكنت اهرب من الطائرات واختبيء في الاقبية العقد ، في بيت محمد نجيب الاطرش ، او في القلعة الرومانية ، وانصت بكل انتباه الى انفجارات القنابل وازيز الرصاص ، وفي اعماقي شوق محتدم الى القتال .

في السنة ١٩٢٨ ، اي في الخامسة عشرة من سـني ، استهواني الجيش الفرنسي الذي كان يحتل ربوع هذا الوطن ، فرحت اطلب التطوع فيه .

استقبلني في مركز المجتمع الدرزي للفرسان ، في قرية امتان ، الملازم الاول « بريبيسون » – Lt. De Prebisson – .

فحصني بالفرنسي ، ثم اخذ ينظر اليّ ويضحك !

ورآني امرد ، طري العود ، فامعن في تهكمه .

قلت له بشيء من النزق :

– انا رجل ! استطيع ان اكون جندياً !

فاجابني ضاحكاً :

– حسناً ، اذهب الآن الى بيتك ، وكُل برغلا ، ثم عد اليّ بعد عام .

وكانت تلك الصدمة من أشد الضربات التي تركت اثراً بليغاً في حياتي ، فخرجت من المركز كئيباً ، وفي اعماقي أعباء من الهم ، فهربت الى « ذيبين » وأقمت عند اقاربي في تلك القرية .

وكان هناك معلم للغة الفرنسية اسمه سامي الديك ، كان قبلا عندنا في صلخد ، ساكناً في بيتنا ، وقد انتقل ليعلم في ذيبين . ذهبت اليه وأخذت اتعلم عنده ، ثم رجعت الى صلخد ، وفكرة التطوع في الجيش لا تفارقني لحظة واحدة .

وذات يوم كان التحصلدار – اي الجابي – عندنا ، بالبيت، فاخذت فرسه دون علمه وذهبت الى امتان حيث قابلت الادجودان أحمد المصري وقلت له : « ارسلني أبي اليك لتدخلني في الجيش ! » .

قال : أما فهمت من اول مرة انك صغير السن ؟

قلت : « اول مرة » كانت منذ ثلاثة اشهر ... اما الان فها انا قد كبرت ...

لم يتضايق مني ، ولم يتذمر ، بل ابتسم وأخذني معه الى الليوتنان دي بريبيسون الذي رفع يديه كمن يذعن للأمر الواقع وقال : « حسناً ، سنضعه في المكتب حتى نرى ماذا نقدر ان نعمل به ... »

وهكذا كان .

ثم جاءتني النجدة الكبرى من سعيد عزام.– وكان موظفاً في دائرة النفوس –

قال لي : « هوّن عليك ، المسأله بسيطة !..

أخذ تذكرة نفوسي وزاد عمري خمس سنوات فخيّل اليّ اني بالفعل، كبرت خمس سنوات ، وصرت رجلا ... صرت جندياً .

وكان مرتب الجندي ثماني ليرات ذهباً .

بقيت حاجباً في مكتب امتان حوالي ستة اشهر . كنت

اسجل الاوراق الصادرة والواردة واحرص كل الحرص على اكتساب ثقة رؤسائي . وفي نهاية تلك الاشهر الستة خرجت الى الصف وحملت السلاح . اعطوني بارودة المـــانية طويلة وارسلوني الى ساحات التمرين .

فاتني ان اذكر ، اني كنت في ايام المدرسة كشافاً، فاتيح لي ان اتعلم بعض الحركات العسكرية فاتقنتها . ولما بدأت اتمرن لمس مدربنا الادجودان – الرقيب – احمـــد المصري تفوقي على الجميـع فأخذ يضعني في رأس الصف ويجعلني قدوة للآخرين . وكان يقف خلفي اصحاب الشوارب الغليظة والاكتاف العريضة والقامات الفارعة ، فيتهامسون :

– «ما هذا الولد ؟ انه مدهش!» ويصيح بهم الادجودان : اقتدوا بفضل ، هذا الفتى انشط منكم !»

كنت اعتز بنفسي ، ولكن الغرور لم يخامرني قط ، بل اخذت اثق بنفسي وانظر الى المستقبل بسرور وارتياح تامين.

اخذت شهرتي تكبر وتنتشر خصوصاً بالفروسية والرياضة التي تتطلب خفة ورشاقة وقوة ، فكنت اقفز متراً و٤٢علواً وستة امتار طولاً ، واجلي في الركض الى مسافة مئة مـــتر فقط . اما المسافات الطويلة فلم تكن من شأني .

تفوقت بركب الخيل والقفز بها فوق الحواجز . فكنت احرز المرتبة الاولى في اكثر المباريات .

كان عندي حصان اصيل اسمه «ملك النهار» وقد اعجب به الفرنسيون واخذوا يدللونه فسموه « فرانسوا » على سبيل التحبب . كنت اتركه يسرح بعيداً مع الخيل ، فاذا ناديته هرول حالا اليّ . اضربه بالخيزرانة برفــق على ركبته فينام . اجعله متراساً واطلق من فوق بطنه الرصاص ، فلا يتحرك . كان ادهم غامقاً وعصبياً قوياً ، وله وجه لا ابهى ولا اجمل .

استمر التمرين حوالي ستة اشهر ، ثم انتقلت مع الفرقة التي كنت فيها الى قرية ملح ، على الحدود السورية الاردنية العراقية . كنا نكمن هناك لنطارد العصابات .

كانت تلك العصابات من الدروز الذين ابوا ان يسلسوا القياد للفرنسيين بعد اخفاق الثورة ، فذهبوا الى الازرق مع سلطان ، وكانوا يأتون من حين الى حين للغزو .

كنا نطاردهم . فاخشى ان يقع واحد منهم بين ايدينا . ارى خيولهم تركض وتبتعد عنا ، فيرقص قلبي طرباً ، واقول في نفسي : « حيا الله الرجال ، حيا الله الابطال ! »

iMP. ex : قيل لنا يوماً : « العصابات في جاوا » وهو نبع على الحدود الفاصلة بين الاردن والجبل ، فسرنا الى هنالك ليلا ، في الساعة الثانية عشرة . مشينا طويلا في اودية صخرية موحشة ، وبعد مضي ست ساعات اشرفنا على النبع . رأينا

« الرجال » هناك على المـــاء . صحنا بهم . هربوا . ولكن
فرس احدهم سعيد رزق ، شردت في الوعر فانكسرت تحت
فارسها . كاد قلبي يقفز من صدري جزعاً . ولكن الجنود
قبضوا على سعيد واتوا به الى المعسكر .

واستمرت بنا الحال هكذا حوالي سنة كاملة ثم انتقلت
الى شهبا حيث غدوت آمر كوكبة فرسان .

* آمر كوكبة فرسان : [illegible] الى المعسكر
هرب سعيد رزق . طاردته فقبض رجاله
ثم [illegible] شخص آخر [illegible] الى المعسكر .

الحرب العالمية الثانية

لما وقعت الحرب العالمية الاخيرة ، بقينا في ركود تام حتى سقطت فرنسا في قبضة النازيين ، وقامت فيها الدولة الفيشية تسير في ركاب هتلر . ومشى الانكليز والديغوليون من الجنوب لفتح بلاد الشام فكان علينا ان نقاتلهم .

تلك مفارقة قلما اتيح لاحد ان يمر بمثلها . كنا جيشاً فرنسياً يقاتل جيشاً فرنسياً آخر . نحن تدفعنا فيشي ومن ورائها برلين . والعدو يحركه ديغول تدعمه واشنطن ولندن . اما غاية القتال فلم يخطر لاحد منا ان يفكر بها . كنا نقاتل قياماً بالواجب العسكري الصرف، وتقيداً منا بحرمة النظام، فما داخل عقولنا يقين ولا هزت نفوسنا حماسة .

ذهبنا الى ازرع نقاتل الانكليز والديغوليين الزاحفين شمالاً . انتشرنا فرساناً ومشاة في ذلك السهل المكشوف . كان الوقت ربيعاً – اول ايار ١٩٤٠ – وقد اكتست الارض ثوباً سندسياً من الاعشاب تزينه الازاهير ، وارسلت الشمس فيضاً من النور

والدفء يبشر بتجدد الحياة ، وجادت الرياحين بأريجها فملأت الجو عطراً ...

في تلك الحفلة الفردوسية من حفلات الربيع الزاخرة بالالوان والانوار والطيوب كان الانسان يتأهب للفتك والبطش والتدمير .

شنّ علينا العدو هجوماً عنيفاً صاعقاً ، في البر والجو ، فأخذت المدفعية تقصفنا دون هوادة ، والطائرات تمطرنا بوابل من القنابل ، والرصاص ينهال علينا باستمرار من الاسلحة الآلية السريعة ، ونحن في العراء ، لا نستطيع الرد إلا بالصبر والتجلد ومجابهة النار بعناد المستبسل الذي لا يرهب الموت .

سقط منا كثيرون . قتل نسيبي الرقيب نجيب حمزه ، والرئيس جدعان الشعراني وحوالي ثلاثين رجلا من الجنود .

حاولنا انقاذ ما يمكن انقاذه ، فشنينا على العدو هجوماً معاكساً . انطلقنا كالاعصار ، في خضم من الانفجارات والازيز وارعاد المدفعية وهدير الطائرات ، فتلقانا العدو بطوفان من الحديد والنار قطع علينا الطريق واوقف انطلاقتنا . فتراجعنا ، ولم يجرؤ الانكليز والديغوليون على الخروج من وراء متاريسهم واستحكاماتهم لمطاردتنا . ولم يواصلوا الزحف لاحتلال الجبل ، ذلك لانهم كانوا قد عقدوا اتفاقاً سرياً بهذا الشأن ، بواسطة

اسمهان، مع الامير حسن وعبد الغفار الاطرش وبعض زعماء الجبل .

بعد تلك المعركة اخذت كفة الحلفاء ترجح بصورة واضحة . دخل الانكليز الجبل وراحوا ينثرون فيه ذهبهم بسخاء . وجاءت اسمهان تحمل الى الامير حسن الاطرش والى عبد الغفار باشا الاطرش عهود الحلفاء وعروضهم السخية المغرية ، وجرى توزيع الاموال دون حساب على العيال ، في كل انحاء الجبل، فاذا بنا ننقلب ديغوليين ونرفع راية الحلفاء.

وكانت الدعاية التي يقوم بها الفرنسيون الاحرار والانكليز على جانب كبير من القوة والاتساع ، فاحرزت نجاحاً مرموقاً وأخذت القوات الفرنسية الفيشية المعروفة باسم « الجيوش الخاصة » ، تتفكك ، لأن كثيرين أخذوا يفرون ويلتحقون بالقوات البريطانية .

وفي تلك الاثناء انتدبتني دوائر الاستخبارات الفيشية والحكومة الوطنية السورية، في عهد شكري القوتلي، للالتحاق بالقوى البريطانية المعسكرة آنذاك في ضواحي بصره اسكيشام ، ولبذل كل الجهود اللازمة لاعادة الذين فروا الى هناك ، وهم من الفرسان الذين كانوا في القوات الخاصة ، بينهم ضباط ورقباء وجنود ولا يقل عددهم عن ألف رجل .

قمت بتلك المهمة على الوجه الافضل ، والتحقت بالقوات

البريطانية بسلاحي وجوادي، فنجحت نجاحاً كبيراً، وتمكنت من انتزاع قيادة الكوكبة التي كان يقودها الرئيس محمد عامر، وعدت في ٣١تشرين الاول ١٩٤٠ فحصلت على رتبة وكيل اول ونلت وعداً بالترفيع الى رتبة ملازم في وقت وجيز.

امـا محمد عامر ، فقد وقعت بيني وبينه مشاجرة كادت تؤدي الى أوخم العواقب .

كان أدجودان في الجيش الفرنسي ، ولما التحق بالانكليز صار كابتن . وهو أمي ، مقطوع الذراع .

انتزعت منه قيادة سريته ووقفت في الجنود خطيباً فقلت لهم :

– لا نريد هذا الرجل ! نحن بغنى عنه !

جاء يعاتبني ، فنهرته ، ووقف كل منا على سلاحه .

فرقنا الفرنسيون بالحسنى ، وابعدوه عني ، وعينوا عوضاً عنه الكابتن نايف الاطرش .

لما كان لا بد لنا من التعامل مع احدى الدول الحليفة ، كنت افضل ان يدخل بلادنا الفرنسيون بدلا من الانكليز ، ليس لاعتقادي ان اولئك افضل من هؤلاء بل ليقيني بان فرنسا قد دخلت مرحلة ضعف وانحطاط وهزال ، فأصبح التخلص من استعمارها اسهل، فالهدف الاخير الذي كنت ارمي اليه مثل اكثرية الضباط والجنود في جيشنا هو الوصول الى

الاستقلال التام الناجز ووضع حدٍ نهائي لكل نفوذ اجنبي في سوريا من اي نوع كان . لذلك انضممنـا الى فرنسا الديغولية بسرور لايماننا الراسخ بأن هذا الوطن سائر الى التحرر من ربقة الاستعمار .

كنت في ذلـك الحين « أدجودان شيف » اي « وكيلا اولاً » فأحرزت حظوة كبيرة لدى الرؤساء ورقيت بصورة استثنائية الى رتبة سوليوتنان اي ملازم ثـانٍ ، ونقلت الى بيروت حيث تسلمت قيادة حرس قصر الصنوبر ، مقر المفوض السامي الفرنسي .

يوم وصلت الى بيروت كان الجو محموماً اذ وقعت حوادث بشامون ، وكانت انتفاضة لبنان التحررية على الفرنسيين في اوجها ، فاتصل بي الامير مجيد ارسلان بواسطة رجل اسمه عارف ، كان مراسلا في جريدة الجبل ، وكانت غاية ذلك الاتصال طلب مساعدتي ضد المستعمرين في حال تأزم الحالة لكوني على رأس قوة لا يستهان بها .

كنت يومذاك قائد سبعين فارسـاً من اطيب الرجال ، فاجبت الامير باني على اتم الاستعداد للعمـل عندما تدعو الحاجـة .

ولما فاز بشاره الخوري برئاسة الجمهورية ، ارسل بواسطة مرافقه بطاقة غير مطبوعة كتب عليها اسمه بخط يده لتعيين

موعد له لزيارة القصر ، وبقيت قائد الحرس حتى ذهب المفوض السامي هيللو وجاء الجنرال كاترو للتهدئة ، ثم جاء بعده الجنرال بينيه .

كان لفرقة الحرس التي اتولى قيادتها لباس خاص ، شبيه بلباس فرسان السباهي المراكشيين : سروال كحلي مطرز بالقصب ، جزمة حمراء لها مهماز لماع ، صديرة خضراء مقصبة وجبة زرقاء سماوية مطرزة بقصب اصفر واسعة ، ردناها مفتوحان واسعان ، نطاق جلد احمر ، سيف طويل وقفازان ابيضان وكوفية حريرية بيضاء وعقال عريض اسود .

بعد ان استتب الامر للحكومة الوطنية قمت بالمقابلات التقليدية على الصعيد الدرزي فزرت شفيق الحلبي محافظ العاصمة وحكمت جنبلاط ، والامير مجيد وزير الدفاع، ومشايخ العقل ، ثم زارني في بيتي بكراكول الدروز محافظ الجبل توفيق الاطرش وحمزة الدرويش .

كانت مهمتي في بيروت حراسة المفوض السامي ومرافقته في الحفلات الرسمية واستقبال الزائرين الرسميين مع فرقة الحرس، اي تأدية التحية العسكرية ونحن على ظهور الخيل ، وكنت كل يوم اتلقى هدية : لوحات من خشب الارز ، قصائد زجلية مكتوبة بخط جميل وما الى ذلك . وكنت كل يوم احد انزل مع فرقتي الى المدينة فاقوم بجولة استعراضية في حي الزيتونه..

ويزدحم الناس على الطرق للفرجة وتصوب الينا فوهات آلات التصوير من كل جهة .

ولما زار ملك اليونان لبنان كنت رئيس الاستقبال .

... وجاءت اسمهان فنزلت في أحد قصور السراسقة ، وشاع أنها تعمل لحساب الانكليز .

أخذ الفرنسيون يبذلون الجهود الكبيرة للتقرب منها واستمالتها ، لعلهم بذلك يضمونها الى صفهم . وقد احست هي بتلك المحاولة فأرادت ان تستغل الموقف . طلبت من كاترو تخصيص خمسة من رجالي لحراسة قصرها وهم باللباس الرسمي ، فلبى طلبها فوراً ... ولما تلقيت الأمر بهذا الشأن ارسلت اليها خمسة من خيرة الرجال، اذكر منهم محمد حميدان ويوسف حميدان ...

وصارت ترسل في طلبي لمقابلتها كل يوم تقريباً ، فاذهب اليها واقدم لها كل الخدمات التي تطلبها مني .

في ذلك الحين كانت اسمهان قد استعادت مكانتها في نظر المحافظين من الدروز لان الامير حسن كان قد استرجعها للمرة الثانية بعد أن طلق هند علم الدين . وكانت اسمهان تخشى نقمة آل علم الدين ، وتحسب لها الف حساب ، حتى انها طلبت مني أن أقيم في قصرها لحمايتها .

وذات يوم عملت حفلة كبيرة كلفتها حوالي عشرين ألف

ليرة ، دعت اليها سبيرس وكاترو والشخصيات السياسية في سوريا ولبنــان ، فأرسلت في طلبي وكلفتني الاشراف على كل شيء ، واستقبال الضيوف على انغــام الموسيقى التي كانت في فرقتي . قلت لها : «الجنزال كاترو هو صاحب الامر» فأخذت التلفون فوراً وخاطبت الجنرال بالفرنسية : « الو ، هنـــا البرنسيس اطرش ... اريد لحفلتي الضابط أبا منصور وفرقته وموسيقى الفرقة ! » ولا ريب في ان كاترو أجاب : « بكل طيبة خاطر ، وكل سرور يا برنسيس » لاني تلقيت منه ، بعد قليل ، امراً بتلبية كل مطالب اسمهان ، وقد اعطاني بهـــذا الصدد « كارت بلانش » ...

جئت مع فرقتي الى القصر السرسقي الاسمهاني ، واتخذنا مراكز الاستقبال وأخذ المدعوون يفدون باللباس الرسمي ، في غمر من الاضواء والالوان والعطور . تأخر كاترو عشر دقائق، فجاءت اسمهان تقول لي: « اذا تأخر الجنرال خمس دقائق بعد فامنعه من الدخول ، ودعــه يعود من حيث أتى ! » قلت : « أنه رئيسنا ! » قالت : « هذا لا يهمني ... من واجبه ان يصل في الوقت المعين .. »

ما أن وصلت الى هذا الحد من كلامهــا حتى اطل كاترو ، وانتهت المشكلة .

وفي اثنــاء الحفلة جاءت اسمهان تقول لي اكثر من مرة :

« اطلب ما تريد لك ولرجالك ! » فكنت أجيب : « ما تعودت ان آخذ شيئاً ... شكراً ! »

وفي اليوم التالي تلقيت منها رسالة شكر تفيض بالعاطفة: « من صميم فؤادي اشكرك الخ ... »

ومرت الايام حافلة بالحوادث المستترة وراء الكواليس فنشب خلاف بين اسمهان والست نظيرة جنبلاط .

ارسلت الست نظيرة في طلبي فلم استطع تلبية طلبها . وقد علمت اسمهان ذلك واعربت لي عن سرورها وارتياحها .

وذات ليلة كادت «تعلق» بين زجالي والاوستراليين . كانت ناديا العريس تغني في ملهى فاروق . تهجم عليها الاوستراليون . ضربها احدهم ببرنيطته وصعد الى المسرح ليضمها . استنجدت برجالي ، فقفز محمد عباس حميدان وانهال على الاوسترالي صفعاً حتى رماه ارضاً ، وفي الوقت نفسه اخذ رجالي الآخرون يضربون رفقاء الاوسترالي حتى اخرجوهم جميعاً من الملهى وانتهى الامر عند هذا الحد . وكانت النتيجة اني تلقيت من ادارة الملهى بطاقة تجيز لرجالي جميعاً دخول الملهى وحضور الحفلات مجاناً مدة شهر وقد جاء في تلك البطاقة ان ادارة الملهى تريد ان تعرب بذلك عن تقديرها للمروءة والشهامة .

صراع ضد الفرنسيين

في حزيران ١٩٤٢ كنت ملازماً ثانياً (سوليوتنان) فالتحقت بالكلية العسكرية في حمص لتقديم فحص « تثبيت رتبة » فنجحت وعدت الى بيروت حيث بقيت حتى حزيران ١٩٤٤ في قيادة حرس قصر الصنوبر ، ثم التحقت بقطعتي الاساسية في الجبل وهي كتيبة الفرسان الدروز ، وكنت احس وألمس انه منذ حوادث ١٩٤٠ قد تكونت لدى الضباط فكرة ترمي الى التحرر نهائياً من النفوذ الفرنسي .

اخذت تلك الفكرة تتبلور ، وتتجسد اعمالا . ففي ٦ اذار ١٩٤٥ ، كنا في مركز كتيبتنا في السويداء ، فجرت الاتصالات التمهيدية ثم عقد اجتماع بعد نصف الليل في بيت الطبيب في الجيش الكابتن توفيق عز الدين الحلبي حضرته مع الرئيس الدكتور توفيق عز الدين والملازم الأول عبدالله الفرا، والملازم الاول سلمان الشعراني ، والملازم فايز حديفي واتفقنا على خطة لاعتقال الفرق الفرنسية المتمركزة في السويداء وهي تشكل فوج مشاة وفوج مدفعية من الزنوج السنغاليين

(١٠٠٠ سنغالي ـ وبطارية مدفعية مع ١٥٠ جندياً وكانت المصفحات في يد الدروز) .

وضعنا الخطة في محضر خطي يشتمل على كل التفاصيل ووقعناه جميعاً وارسلنا نسخة عنه بصورة رسالة الى الحكومة السورية بواسطة العريف حمود جربوع الذي كان ممرضاً في في المستشفى .

كان الحكم يومذاك في يد شكري القوتلي ، وقد تشكلت الحكومة من فارس الخوري وصبري العسلي وجميل مردم وسعدالله الجابري .

وجاء جواب الحكومة يدعونا الى التريث والى ارجاء القيام باي عمل حتى نكون قد استكملنا عدتنا وغدونا واثقين من الفوز . وطُلب الينا ، في الوقت نفسه ، ان نكون على تمام الاهبة لنعمل فوراً عندما تأتينا أشارة من دمشق [١].

وفي تلك الاثناء كان الجو يزداد تجهماً وتوتراً ، فوقعت حوادث طفيفة ، إلا أن صداها كان بعيد المدى في جميع الاوساط فاجتاحت البلاد موجة من الاستياء ثم جرت اعتقالات بين المدنيين ... ووقعت اشتباكات بين الجيش والدرك فتدهورت الحال بصورة خطيرة جداً وساد القلق حتى ايقنا

---

(١) هذه الوثائق في حوزة توفيق عز الدين الحلبي .

جميعاً ان الازمة لم تعد تطاق وانه لا بد لنا من ايجاد مخرج لها مهما كلف الأمر .

كان الفرنسيون يبذلون الاموال الطائلة للمحافظة على الجبل ولا يبدون اهتماماً باي جزء آخر من البلاد السورية لعلمهم ان من يكون الجبل معه يسيطر على سوريا كلهـا . إلا أنهم ، كعادتهم كانوا نزقين يقودهم الطيش الى اعمال صبيانية . كانوا اذا غضبوا يقولون للسوريين Sal Arabe . ويسمون ضباطنا Autochtones للاحتقار فكنا نتضارب معهم في الطرق والمقاهي .

اتصلنا بمحافظ الجبل الامير حسن الاطرش في ٢٥ ايار ١٩٤٥ ، فاتفقنا معه على ان يذهب الى دمشق للاتصال بالحكومة والاطلاع على آخر التطورات ، فذهب وعاد بعد ثلاثة ايام ، أي في ٢٨ ايار ، فاتصل بنا فرداً فرداً وتقرران نجتمع في الليلة نفسها ، في الساعة الواحدة بعد نصف الليل ، في بيت الرئيس الطبيب توفيق عز الدين (لا يزال في الجيش السوري) وقد حضر هذا الاجتماع كل من : الرئيس توفيق عز الدين ، الملازم الاول عبدالله الفرا ، الملازم الاول توفيق الشوفي ، (المقدم آمر حرس البادية حالياً) ، كاتب هذه المذكرات ، الملازم فايز خديفي (استشهد في فلسطين سنة ١٩٤٨ في معركة كعوش وكنا في فرقة المدرعات معاً) الملازم هاني قطيني ، الملازم حسن رسلان ، الملازم محمد رضوان ، الوكيل الاول نسيب أبو عسله ، الرقيب الاول صالح

العطار، الرقيب الاول علي جربوع، الرقيب الاول صالح السميح، الرقيب الاول توفيق حاتم، الملازم نايف العطواني، والرقيب تركي الجرمقاني .

لما اكتمل عقدنا هذا استدعيت الرئيس شكيب وهاب الذي أبدى معارضة شديدة لحركتنا، إلا أننا قررنا القيام بالانقلاب في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي بحضور المحافظ الامير حسن الاطرش، فاقتسمنا العمل وكانت مهمتي احتلال مقر المفوضية .

وهنا، غدونا أمام وجوب القيام بالعمل وجهاً الى وجه، فوقفنا جميعاً واقسمنا اليمين في جو مشبع بروح العزم والاقدام فاذا باصواتنا ترتفع : « اقسم بالله العظيم وبشرفي على ان اقوم بالمهمة المسندة الي دون تردد في الوقت المعين لها، وان أبذل دمي في سبيل الامة والوطن .. »

وكان الوقت قد بلغ الساعة الرابعة صباحاً، ولم يبق بيننا وبين موعد العمل سوى ساعتين، فانصرفنا، وفي الموعد المضروب بدأت الحركة فكانت مفاجئة، كاسحة، اذ قام كل منا بمهمته على الوجه الاكمل . وفي الساعة الثامنة صباحاً كان الانقلاب قد تم دون ان نواجه أية مقاومة تستحق الذكر .

كان شكيب وهاب برتبة كبتين – اي رئيس – وقائد كوكبة فرسان . ولما كان غير متحمس للحركة أخذنا نحمسه،

ونصفق له هاتفين : « يعيش زعيم الانقلاب » .

لما اعتقلنا الكومندان «سارزان» Sarrazin حاكم الجبل ، نظر الى شكيب وقد بدت على وجهه الدهشة وقال له : «وانت ايضاً يا شكيب ؟ » فأجاب شكيب : « وماذا تريد ان اعمل لك .. مرة هي الخيانة ! »

كنا ننام في البيوت ، وكل واحد منا ، نحن الضباط ، شبه مستقل مع وحدته .

لما قمنا بهجومنا اخذنا نرسل الصيحات التقليدية في الجبل: « وين راحت النشامة » وكنا كلما اعتقلنا عدداً من الفرنسيين ارسلناهم الى الامير حسن ، وقد احسنّا معاملتهم ، فما لقوا منا غير اللطف والاحترام حتى تسلمهم منا الانكليز : « ان من يفقد جبل الدروز يفقد سوريا »

ولكن شكيب وهاب انقلب علينا . هاجمنا لينقذ الاسرى الفرنسيين . فتعاركنا ثم تفاهمنا ، ثم تمت الصلحة وانتهى الامر .

على اثر تلك الحركة السريعة الحاسمة ، تقلص ظل الفرنسيين كلياً عن الجبل ، إلا انهم ابوا ان يعترفوا بالهزيمة وأخذوا يبذلون الجهود للقيام بهجوم معاكس ، فحشدوا القسم الاكبر من بقايا قواتهم في اللاذقية وضواحيها ، وفي حزيران جاء الزعيم عبدالله عطفه الى الجبل وسأل عما اذا كان ثمة

ضباط يريدون الذهاب الى اللاذقية مع فرقهم لمساعدة القوات الوطنية هنـاك ، وذلك بصورة اختيارية ، لان الفرنسيين كانوا يعتدون على السوريين كلما سنحت لهم الفرصة ، فلبيت طلب الزعيم عطفة وتوجهت الى اللاذقية مع رجالي ، وكنت يومذاك قائد كوكبة الفرسان السادسة .

سرت من الجبل الى الشام على رأس مئـة وخمسة وستين فارساً ، ثم سافرنا من دمشق مع خيولنا ، بقطار سكة الحديد الى حماه ، حيث جرى لنـا استقبال عظيم تخللته المهرجانات الشعبية الحماسية ، فكنا كيفما سرنا تقابلنا الجماهير بالتصفيق والهتاف والزغاريد !

ومن حماه سرنا على الخيـل الى مصياف . – نمنا ليلة ، وسرنا الى بانياس . ثم توجهنا الى جبله ، على شاطيء البحر .

واخيراً وصلنا الى اللاذقية والتحقنا بالجيش السوري وكان على رأسه المقدم صلاح الدين نحاس (اليوم متقاعد) فاستقبلتنا فرق الجيش بالموسيقى ... وارتفع حولنا هتاف الجماهير .

دخلنا المدينة بعرض عسكري بين اقواس النصر وانواع الزينة ، فكانت الخيـل تمشي على السجاد من ساحة الشيخ ضاهر الى باب الثكنة .

اخـذنا نشن ، بالاشتراك مع المدنيين ، هجمات قاسية متوالية ، غايتها ارهاق الفرنسيين، فكانوا يختبئون، ويتوارون

في الاستحكامات ويلتزمون خطة الدفاع .

واستمرت الحال هكذا طوال السنة ١٩٤٥ .

وفي تلك الاثناء جاء اديب الشيشكلي، وهو برتبة رئيس، فحلّ في القيادة محل صلاح الدين نحـاس ، وكان ذلك اول عهدي بمعرفته .

وفي ١٧ نيسان ١٩٤٦ كان الفرنسيون قد غُلبوا على امرهم بصورة نهائية فتم الجلاء الاجنبي عن سوريا وكان عيد وطني عظيم اقيمت فيه المهرجانات الرائعة ، فكنت اسكر مع اديب الشيشكلي طوال الليالي فلا نقوم عن مائدة الشراب حتى يطل علينا الفجر .

ولكن موجة الفرح التي اجتاحتنا جميعـاً لم تحجب عن بصائرنا حقيقة الحالة المؤسفة التي كانت تتخبط فيها البـلاد ، فقد كانت الفوضى ضاربة اطنابها، خصوصاً في صفوف الجيش، حتى اني ، لما ذهبت الى اللاذقية ، اضطررت ان انفق من مالي الخاص على رجالي فبلغ ما انفقته ١٨٠٠ ليرة دون اي مقابل لان المراجع المسؤولة كانت في غمر من البلبلة والتشويش جعلها عاجزة عن القيام بواجبها .

بعد ان تم الجلاء واستتب الامر للحكومة الوطنية،انتقلت على رأس وحدتي الى منطقة جسر الشغور واستلمت قيادة

الحدود في اقضية الجسر ، سلقين دركوش ، حارم ، عفرين، راجو والحدود السورية التركية .

بقيت متمركزاً في تلك المنطقة حتى نشبت حرب فلسطين، فتركت وحدتي والتحقت بالقوى المدرّعة بناء على امر القيادة في ١ تموز ١٩٤٧ واستلمت قيادة كوكبة مدرعات وكان قائد سلاح المدرعات في ذلك الحين المقدم عمر خان تمر .

بدأنا تلك الحرب المشؤومة باتخاذ موقف الدفاع على الحدود ، لان جيشنا ، على ما فيه من امكانات البسالة والجرأة والاقدام ، كان في حاجة الى الاسلحة والمعدات تشبه الحرمان، فقد كان القوتلي يعتبر الجيش « للزينة » ولا يهتم الا بتقوية الدرك لتدعيم نفوذه الشخصي .

واذكر ان كتاباً قد صدر سنة ١٩٤٦ عن وزارة الدفاع ، بناء على رغبة رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة، وقد جاء فيه ان سوريا عاجزة عن تنظيم جيش ، وانها ليست بحاجة الى جيش كبير لانها غير مهددة باي خطر خارجي...

انطلاقاً من هذه الفكرة اخذت حكومة دمشق تفكك الجيش الذي استلمته من الفرنسيين وتسرّح ضباطه وجنوده . كان هذا الجيش ثلاثين الف مقاتل فتقزم وانحدر الى ستة آلاف على وجه التقريب .

ولم يكن لعملية التسريح الا قاعدة واحدة ، هي السياسة

الانتهازية ، سياسة الاغراض الخصوصية والمصالح الفردية .

ذلك هو السبب الأول والاكبر للاستياء الذي اخذ ينتشر ويتفاقم في صفوف الجيش ضد السياسيين الذين كان يقال لهم: « رجالات الرعيل الاول » وهم شكري القوتلي ، جميل مردم احمد شراباتي ، صبري العسلي وغيرهم من « البشر » .

وما كان استياء في ايام السلم ، انقلب نقمة تجيش في الصدور ، وغضباً يغلي في النفوس عندما نزل جيشنا الى القتال في فلسطين ، وهو هزيل العدد ، مفتقر الى المعدات ، لان الحكومة كانت تعنى بتقوية الدرك والشرطة والأمن الداخلي لبسط نفوذ « اقطابها » وارهاب خصومها ... المحليين السياسيين ...

الا ان ذلك الغضب ، وتلك النقمة لم يفقدا الجنود شعورهم بالواجب الوطني ، ولم يحجبا عن عيونهم الخطر المحدق بامتهم وبلادهم ، لذلك تقيدوا بالنظام فلم تحدث فتنة ولم يعلن عصيان ... الا ان الثورة كانت قوة كامنة في اعماقهم ، في وعيهم او لاوعيهم ، وكان لا بد من انفجارها في وقت ما... في وقت ما يزال سراً دفيناً في مجاهل المستقبل ...

وكما يحدث الزلزال ، هكذا انقضت على الجيش السوري كارثة «سمخ» ...

فعلى اثر مقررات اللجنة السياسية العليا في الجامعة العربية، تقرر ان يهاجم الجيش السوري القوات الاسرائيلية من جهة سمخ . والطريق من هناك – اي طريق الحمة – على جانب كبير جداً من الصعوبة ، فهي شديدة الانحدار ، متعرّجة ، وعرة ، يتعذر اجتيازها على الآليات ، يمتد وراءها سهل مكشوف يمتد الى الحمة ثم سمخ . ليس في العالم قوة عسكرية تستطيع ان تهاجم عدواً عن مثل هذه الطريق ، ولكن ... هي مقررات اللجنة العليا التي ارادت ان تجترح المعجزات !

قابل الاسرائيليون جيشنا بسيول من الحديد والنار ، فكانت الكارثة وسقط من جنودنا حوالي ٣٠٠ قتيل .

هذه المعركة لم اخضها. اني اليوم، بعد مرور احدى عشرة سنة عليها ، اقف حيالها واجماً . في نفسي حرقة، وفي فكري ذهول . ماذا ، لو قُدر لي ان اخوضها ؟ واحد من امرين . او اقلبها انتصاراً اسجل امجاده . او لا ابقى لاكتب هذه المذكرات .

كانت النكبة قاسية مرة، حفرت في القلوب اخاديد وفي النفوس دياميس لا قرار لها . واحدثت رجّة بعيدة المدى في كل مكان .

في الجهاز الحاكم استقال احمد الشراباتي ، وزير الدفاع ، وقامت حوله ضجّة لانه قيل ان زوجته يهودية . وفي الجيش

هدمت الهزيمة النكراء المعنويات ، وجـــاءت رداءة التغذية والتموين ضغثاً على ابالة ، فكان الخبز كريه الرائحة كأنــه خارج من المجارير ، مر المذاق كأنه الزقـّوم، اسود اللون كانه من السنغال .

كان مدير التموين المقدم حسن غنام (وهو اليوم عقيد) فأخـــذ الجنود ، في خنادقهم ومتاريسهم واستحكاماتهم ينشدون هازئين :

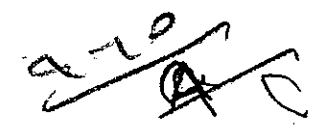
حوّل ، يا غنام ، حوّل ...
وين السمنه وين ...

وكانت وقعات الطعام كلها خبزاً وبرغـلا ... اي قمحاً مسلوقاً ، وقمحاً مخبوزاً ... وكان يمازجهـــا احياناً قليل من العدس .

انهالت تقارير الشكوى من امار القطعات على الاركان العامة ... فغضب وزير الدفاع احمـــد الشراباتي — قبل استقالته — وضرب بالخيزرانة العقيد توفيق بشور ، قائـــد الجبهة لان العقيد لم يأمر قطعته بأن تؤدي التحية « لمعـالي » الوزير اثناء زيارته للجبهة .

لم يشأ الشراباتي ان يفهم ان تلك التحية لم تكن ضرورية في الجبهة . تشرشل وكليمنصو كانا يزوران الجبهــة في الحربين

العالميتين الماضيتين ، فما كان يؤدي لهما التحية احد . ولكن الشراباتي غضب . وترجم غضبه نزقاً . ليس لانه يجهل التقاليد العسكرية ، بل لأن الانتقاد الصادق اصاب منه مقتلا ، فاستشاط وفقد صوابه ... فضرب ثم اضطر ، رغم انفه ، ان يستقيل ، فاحتل مركزه جميل مردم ... وامتدت «الهزة» الى رئاسة الاركان العامة ، فاستقال عبدالله عطفه واحتل مركزه حسني الزعيم .



معركة كعوش

استمرت الحرب في فلسطين فكانت شديدة الوطأة علينا بالنظر الى قلة عددنا ونقص عتادنا ، الا اننا عاهدنا النفس على مواصلة النضال مهما تكن النتيجة . بعد قتال ضارٍ في «كعوش» وهو المكان الذي سماه اليهود « مشمار هايردن » اعلنت الهدنة لمدة عشرة ايام . فقررنا القيام بهجوم صاعق قبل انتهاء الهدنة بيوم واحد ، وذلك بالاتفـاق مع القيادة وجميع الضباط . تسللت مع بعض رجالي الى النـاحية الغربية من « كعوش » واختبأنا بين اشجار الزيتون مدة اثنتي عشرة ساعة تقريباً ، فدرسنا خطة الهجوم واسندت المهمات الى اصحابها ، فكانت مهمتي الانطلاق في الطليعة واحتلال مستعمرة « نجمة الصبح » اليهودية .

كان اليهود قد حفروا ، بين هذه المزرعة ومعسكراتنا ، خندقاً يمتد من الجنوب الى الشمال طوله ثلاثون كيلومتراً وعمقه ثلاثة امتار وعرضه اربعة امتار للحؤول دون هجوم الاليات، فكان علي ان اجتاز هذا الخندق لاستطيع القيام بمهمتي .

جاء احد ضباط فرقتي يقول لي : « كيف نستطيع اجتياز هذا الخندق ؟ » قلت له : «أردمه بالتراب ، بالحجارة.. أملأه بالآليات ، بالجثث .. حتى تعبد فوقه الطريق .. » اخذنا نعمل ليلا ونهاراً، ونحن معسكرون بين الحوله وطبريا، على جسر بنات يعقوب ، ننتظر ساعة الهجوم الذي تقرر ان يبدأ في الساعة الواحدة بعد نصف الليل .

ولكن القيادة عدلت خطتها واصدرت الينا امرها باتخاذ موقف الدفاع ، وفي الساعة السادسة من مساء اليوم التالي شن الصهاينة علينا هجوماً كبيراً .

كانوا حوالي ١٢ الف مقاتل ، ونحن ، في الخطوط الامامية الف تقريباً استمر القتال ضارياً طوال ليلة ونهار، ونحن صامدون متشبثون بمراكزنا ، تكر علينا الموجات الصهيونية صاخبة ، فتتحطم ثم تتراجع خاسرة .

وكان ذلك الهجوم اليهودي ثلاثياً . انطلق من روشبينا – عين العجلة – بشكل ثلاث حراب اتجهت صوبنا . اوقفنا الحربتين الاولى والثانية . اما الثالثة فقد تجاوزت خطنا من اليمين ، اي من ناحية الحولة ، واصبحت خلفنا ، تهدد بناية الجمرك في جسر بنات يعقوب .

ولما اشرق الصباح هاجمنا الذين تجاوزونا . ضربناهم بالمصفحات فسحقناهم سحقاً وقتل منهم عدد كبير بينهم جنرال روسي .

بعد ذلك الانتصار هاجمنا تل ابو الريش واستولينا عليه ، ثم هاجمنا نجمة الصبح فعجزنا عن احتلالها لان اليهود قاوموناً بمدفعية كبيرة وباسلحة اوتوماتيكية سريعة فتراجعنا .

اما مزرعة « بيّارة الخوري » فقد جئناها من الغرب ودخلناها عنوة فاخلاها الصهاينة وتراجعوا خاسرين .

في تلك المعارك الضارية كانت المدفعية اليهودية متفوقة على مدفعيتنا . سألت مدفعيتنـا ان تضرب ، فرفضت لان الذخيرة كانت مقننة ، واستمر اليهود يضربوننا بمدافع كبيرة من العيار الثقيل ، فكنا نقول للجنود ان مدفعيتنا هي التي تضرب لنقوي معنوياتهم ، وبهذه الخدعة استطعنا ان نشن هجومنا ...

ركبت مصفحة وسرت صوب العدو . ومشى على جانبي تلك المصفحة عشرة من المغاوير الشركس . امرتهم بالهجوم على احد الاستحكامات اليهودية المصنوعة من الباطون المسلح « Block House » ، فهجموا وقتلوا جميعاً ، فنسفت ذلك الاستحكام بمدفع المصفحة . قتل في المزرعة ستون يهوديـاً وأسر اثنان .

كان قائد المغاوير محمود بنّيان ، وقد صار فيما بعد عقيداً ثم سرحه الشيشكلي .

امتاز الشراكسة ، في ذلك القتال ، بالطاعة والشجاعة

وتنفيذ الاوامر . وامتاز الدروز بالاستبسال وعنف الهجوم : « وين راحت النشامة !» كنت اخيرهم في ان يرجعوا او ان يواصلوا الكفاح في مراكز الخطر... فما تراجع منهم احد ... لذلك قتل منهم اكثر مما قتل من غيرهم .

فارس البنّي كان وكيل ضابط مع الحناوي، تحدى الموت وانقـذ فوجاً من عدة سرايا ، كان محاصراً في نطاق من القوات اليهودية ... وذلك في اثنـاء الهجوم من تل ابي الريش على نجمة الصبح . وقـد تلقى فارس من القيادة ثناءات وترقية .

وقـد برهنت الحوادث ان كل سرية فيها عشرة دروز كانت تنتصر كيفما توجهت واينما قاتلت .

اما الحناوي فقد ابدى في الميدان شجاعة نـادرة . كان يسير في المعركة منتصب القامة ، سامد الرأس ، وسلاحـه عصاه . وينهمر رصاص الصهاينين كالمطر . فيبتسم ويخـاطب الجنود قائلا : لا تخافوا .. هذا رصاص لا يقتل ! ».

في احدى المعارك نفدت ذخيرة احدى السرايا ، فحمل اليها صندوق الخرطوش من اسفل تل العزيزات الى فوق .

هذه الامكانات العظيمة لم تؤدِ الى نتيجة ايجـابية لان رجال السياسة عقموها بانانيتهم وغرورهم وانتهازيتهم . وتلك البطولات ذهبت سدى ، لان الذين كانوا يحتلون مراكز الحكم

في الدولة السورية تجاهلوا واجبهم ، وتنكـّروا للامانة التي في اعناقهم .

ذلك هو السبب الاساسي للانتفاضة التي أدت الى انقلاب حسني الزعيم .

لقد سرح شكري القوتلي نصف الجيش ، وأقـــدم على التصنيف المجحف لاسباب سياسية بعيدة كل البعد عن مصلحة الجيش ومصلحة البلاد ، وذلك قبل نشوب حرب فلسطين ، فاخذ الاستياء يزداد وينتشر في صفوف الجيش . ولما نشبت الحرب ومنيت قواتنا بهزيمة سمخ غدا الاستياء نقمة عــارمة وغضباً يتأجج .

لمـــا استلم حسني الزعيم القيادة انصرف فوراً الى درس شكاوى الضباط ، وتلبية مطالبهم . اخذ يتصل بهم ، كباراً وصغاراً ، ويستمع الى آرائهم بكل انتباه ، فاخذت الحال تتحسن بصورة مطردة ، سواء أكان من ناحية الاسلحة ام من ناحية الاغذية .

وانتهت معارك فلسطين بالهدنة المعلومة ، وفي نفس كل أفراد الجيش خيبة مرة ، ونقمة على الاوضاع بصورة عامـــة وعلى رجال السياسة الذين كان استهتارهم سبب النكبة . كان في نفس كل واحد منا حسرة واقتناع باننا ، على ضعف معداتنا وقلة عددنا كنا نستطيع ان ننقذ فلسطين لولا ..

و « لولا » هذه تجسدت في شكري القوتلي لما هو ، ولما يرمز اليه .

وقد مهدت النقمة واختلاط حسني الزعيم بالضباط للانقلاب الاول الذي اطاح بشكري القوتلي . واكتسب حسني الزعيم شعبية كبيرة في اوساط الجيش حين جعل التغذيـة ممتازة ، وحقق مع المتعهدين المتلاعبين وسجن المقدم حسن غنام ووفر بعض اسباب الترفيه لقطعات الجيش في الجبهة .

لما وثق حسني الزعيم من قوتـه ومكانته في الجيش ، قرر، بالاتفاق مع رفقائـه ، القيام بالانقلاب . وكان اعوانه كثيرين ، اهمهم المقدم اديب الشيشكلي ، وهو جندي ممتاز ، وافر الذكاء ، والرئيس ابراهيم الحسيني ، وهو كذلك مقاتل محترم و « حربوق » من اعلى طبقة ، والمقدم محمود بنيان ، وهذا دون رفيقيه علماً وثقافة ، ولكنه ، في نظري من اعظم ابطال الجيش السوري ، ولعـله افضل من في الجيش من « البواردية » . ويضاف الى هؤلاء الثلاثة البارزين عدد كبير من صغار الضباط .

وكان الجو مهيئاً ، فنظم حسني الزعيم جمهرة من المدرعات والمشاة وسلم قيادتها للمقدم اديب الشيشكلي وجعل مركزها في قطنا ، ثم شرع يتخذ التدابير الانقلابية بكل حزم وكل دقة ، وفي صباح ٢٩ آذار ١٩٤٩ احتـل دمشق عسكرياً

واعتقل رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورجال حكومته وقسماً من ضباط الجيش الذين كانوا يدينون بالولاء للحزب الوطني ورجال الحكومة .

كان هذا الانقلاب الاول من نوعه في تاريخ سوريا الحديث، وقد قابله الجيش والشعب، في باديء الأمر بالسرور والابتهاج والارتياح لانه قضى على مـا اشتهر به عهد القوتلي من الميوعة والاستهتار والمحسوبية وتسخير المصالح العامـة للاغراض الشخصية .

حقيقة حسني الزعيم

ولكن بعد مرور اسابيع قليلة اخذت حقيقة حسني الزعيم تظهر للعيان وتنجلي لكل مراقب بصير ... لقد سكر الرجل بالنصر الذي احرزه ، وبالشعبية الكبيرة التي نالها فأماط اللثـــام عن طموحه الى الديكتاتورية المطلقة ، واسفر عن غروره الاهوج الذي لا يقف عند حد ، فاذا بتصرفاته الشاذة تستفز الجيش اولاً ، ثم تثير الاستياء والخيبة في اوســاط الشعب وفي صفوف الاحزاب .

في الجيش اقدم على تسريح عدد كبير من الضباط والجنود، وهم ما يزالون في الجبهة ، وقد مضى عليهم سنة وستة اشهر تقريباً وهم في خطوط النار . صدر الامر بتسريحهم فجأة ، وبصورة اعتباطية ، دون تعويض ... وفوق ذلك انتزعت منهم البستهم العسكرية وارسلوا الى قراهم حفــاة عراة لا يملكون شروى نقير ، ولا يجدون عمـــلا يرد عنهم غائلة العوز والجوع ...

ورأت دمشق مشهداً لم تقع العيون على مثله في التاريخ..

رأت رجلا يتجسد العزم في قسمات وجهه وتلمع البسالة في عينيه ، وقد راح يتجول في الشوارع والازقة والاسواق متسولا يستجدي الاكف ... يمشي حافياً ، حاسراً ،ويرتدي كيس جنفيص تلمع عليه اوسمة البطولة والنضال في معارك فلسطين ...وكلما بسط كفه للمارة يقول :«حسنة لهذا الرقيب في الجيش السوري ، صدقة لهـــذا المقاتل الذي سرحوه من الجبهة دون انذار ، ودون سبب ، ودون تعويض ، فغدا شريداً معدماً تعوزه بلغة العيش !»

ولكن هذه الحادثة وغيرها لم تكن ذات تأثير بليغ على حسني الزعيم وعهده الذي توسم الناس فيه الخير ، حتى انهم كانوا مستعدين للاقدام على كل تضحية لانقاذ البلاد من محنتها، تلك المحنة التي خلق اسبابها العهد السابق ، وجسمتها حرب فلسطين حتى غدت في قرارات النفوس امرّ من العلقم واشد وطأة من ذل الهزيمة ...كان السوريون جميعاً يؤيدون العهد الجديد دون تحفظ ، كأنه العهـــد الذي انبثق من رغباتهم لتحقيق آمالهم ، ويودون ان يكون صاحب العهد منقـذاً ومصلحاً فيلتفون حوله ويبايعونه بالزعامة ويضعون بين يديه كل السلطات ... الا ان حسني الزعيم – وهو ادرى الناس بما كان يجول في خاطره من حب السيطرة والاستبداد – اخذ يبدي تخوفه من الجيش فقرر ان يسرح نصفه ، لاستبدال ذلك النصف باجانب مأجورين يطلق عليهم اسم «خبراء» ولا

يكون ولاؤهم الا لمــــن يدفع مرتباتهم وهو شخص حسني الزعيم بالذات .

بالاضافة الى ذلك شرع حسني الزعيم ينشىء فرقة خاصة من الجيش لا ينخرط فيها الا الذين يقسمون له شخصياً يمين الطاعة والولاء ، وقد تولى قيادة هذه الفرقة المقدم بديــع بشور . واستدعى حسني من تركيا عِدداً من الضباط بقيادة الجنرال اورباي . قيل انهم خبراء اتوا لتنظيم الجيش السوري والاشراف على تدريبه، فسلمهم كل الاسرار العسكرية واطلق يدهم في كل شيء ، فما كان عليهم الا ان يرفعوا تقاريرهم اليه وحده . وقد عثرت على احد تلك التقارير لما اعتقلت حسني الزعيم (كما سيأتي) فاذا به ما يلي :

« بعد الجولات التفتيشية التي قمنا بها على مختلف قطعات الجيش السوري وجدنا ان كل القطعات التي لها اهميتها والعنصر الهام هي بقيادة اشخاص من الاقليات . لذلك نقترح ابدال اولئك القادة بسلمين سنيين ! »

فاذا كانت هناك عبرة ، فهي ليست في رأي من يريد ان يجعل التفريق المذهبي قاعدة ، بل في ان يطلب رئيس سوريا نصيحة الاتراك في شؤون بلاده ، وهو يعلم ما تضمره تركيا لهذه البلاد .

بعــد الخبراء الاتراك استدعى حسني خبراء فرنسيين ،

ولكنه لم يتفـــق معهم لانهم ابوا إلا ان يظلوا في ثيابهم العسكرية ، وهو يريدهم ان يرتدوا ثياباً تستر حقيقتهم لتنطلي خدعته على الشعب . وهذا واضح في مراســـلات ووثائق اكتشفناها ، لا تترك اي مجال للشك .

هذا في صفوف الجيش .

اما في اوساط الشعب فقد عمد حسني الى انتهاج سياسة ارتجالية ارهابية فاعتقل رؤساء الاحزاب وزجهم في السجون وامر بتعذيبهم باساليب وحشية ليحطم ارادتهم ويرغمهم على الخضوع لمشيئته والتسليم باستبداده .

وكان يخص الدروز بكراهية شديدة ولا يضمر لهم غير البغضاء والشر ، وقد طلبت مقابلته مرات عديدة فرفض بعناد ان يرى وجهي .

وأخذت الاحوال تتأزم حتى بلغت ذروة التفاقم لمـــا ظهرت على المسرح تمثيلية محسن البرازي ، رئيس وزارة حسني الزعيم .

فالبرازي لم يقبل التعاون مع حسني لخير البلاد أو للسهر على مصالح سوريا ، بـل ليجر حسني الى ارتكاب الاخطاء ، ولاشاعـة الاستياء والبلبلة . فقد كانت هناك نية خفية ترمي الى انشاء دولة « كردستانية » طالما راودت احلام البرازي .

وفي حزيرانـ ١٩٤٩ ارتكب حسني خطأه الاكبر ، اذ

استدعى الزعيم الخالد انطون سعاده ، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي ، واستقبله في قصر الرئاسة ، وبادله الآراء بخصوص موقف لبنان من سوريا ، ثم قدم له مسدسه الخاص معرباً بذلك عن محبته وولائه .

وبعد اسبوع واحد انقلب حسني على القوميين الاجتماعيين، والقى القبض على عدد غير قليل منهم وزجهم في السجون .

اما سبب ذلك الانقلاب فيعود ، ليس الى بعض المناوشات التي وقعت بين القوميين وبعض المخافر السورية على الحدود السورية اللبنانية ، كما أشيع يومذاك ، بل الى الاتصالات التي جرت بين محسن البرازي ورياض الصلح رئيس الحكومة اللبنانية .

لقد تمكن الرجلان من اقناع حسني بان تعاونه مع الزعيم سعاده يشكل خطراً كبيراً عليه وعلى عهده في الشام .

فكانت النتيجة ان حسني قرر اعتقال الزعيم سعاده وتسليمه الى لبنان . وهكذا كان !

اما الاستياء الذي سببته تلك التصرفات الشاذة فقد فاق كل حد ، وأخذ الناس يشعرون ان حسني يقود البلاد الى الخراب والى فقدان استقلالها ، ومن هنا نشأت فكرة الانقلاب الثاني ، لانقاذ سوريا من محنتها ، وللمحافظة على سيادتها واستقلالها .

وكان حسني ، عملا بخطة التصفية التي وضعها ، قد قرر

التخلص مني ، ومن امين ابو عساف ، ومن ضباط كثيرين غيرنا ، لاننا لم نكن من انصاره ومؤيديه ، ولأن قيادة المدرعات الفعلية كانت في يدي ويد امين ابو عساف .

وقد مهد حسني لتلك التصفية باعمال عدائية مفضوحة ، بعيدة كل البعد عن روح العدالة والانصاف ، اذ انه اخذ يرقي صغار الضباط الجدد ، ويهمل القدماء المتصفين بالشجاعة والمحافظة على النظام والذين غدت ترقيتهم واجبة حسب النظام العسكري المتبع ، فكان هذا التصرف خروجاً سافراً على العرف والقانون . ولم يكن القصد من ذلك الا كسر معنويات الضباط المغضوب عليهم ، وتجريح كرامتهم تمهيداً لتسريحهم والقضاء عليهم .

عندئذ ادركتُ اني اخوض معركة حياة او موت ، وقررت ان اباشر العمل دون تردد .

وفي تلك الاثناء ، زار سوريا وفد تونسي ، فدعاه حسني الى القيام معه بجولة في الجبهة السورية – الفلسطينية . فلما علمت بالأمر ، رأيت الفرصة سانحة للتخلص من حسني ، فأخذت سيارتي « الجيب » ووضعت فيها اسلحتي وذخيرتي وكمية من الزاد والوقود تكفي بضعة ايام ، واقمت انتظر .

وجاء حسني مع الوفد التونسي الى « عين زيوان » حيث استقبله الجيش ، ثم استأنف سيره الى الجبهة ، فلحقته الى جسر بنات يعقوب ،حيث كان مركز قيادة الجبهة في عهدة الزعيم

سامي الحناوي ، يعاونه العقيد علم الدين قواص .

لما وصلت الى هناك اوقفت سيارتي الى جانب الطريق ، وتسلحت ووقفت انتظر عودة حسني وانا واثق كل الثقة بان حياة الرجل قد انتهت .

وكان علم الدين قواص عليماً بخفايا الامور ، مطلعاً على تذمر الضباط ونقمتهم . فلما رآني،ادرك ان وراء الاكمة ما وراءها ، واني ما اتيت الى هناك إلا لأمر خطير ، فاستدعاني الى مكتبه متظاهراً بالترحيب ، وقدم لي قهوة ، ثم استأذن وخرج ، واقفل وراءه الباب من الخارج .

قمت اقرع ذلك الباب واناديي ، ولكن عبثاً ...

وبعد ربع ساعة تقريباً عاد علم الدين وفتح الباب ، فكان حسني الزعيم قد مر عائداً الى دمشق مع ضيوفه التونسيين .

وتكلم القواص معاتباً فأخذ يقول :

— ما هذا يا فضل الله ؟ أتريد أن تخرب بيتي ؟ الاغتيال الفردي على هذه الصورة لا يجوز ... لو قتلته هنا لوقعت المسؤولية على رأسي . ولا تنس ان العمل الفردي يضر بالحركة ... ينبغي ان نهيىء الجو ..

وهكذا نجا حسني الزعيم من الموت ولكن الى حين .

اما الخطة التي كان حسني قد وضعها للقضاء عليّ وعلى

ابو عساف ، فكانت تتألف من مرحلتين :

المرحلة الاولى : تجريدنا من قيادتنا لابعادنا عن الجنود المخلصين لنا كل الاخلاص ، وعن القيادة الحساسة .

المرحلة الثانية : تسريحنا ثم تصفيتنا بطريقة ما .

ولتنفيذ المرحلة الاولى صدرت الاوامر الينا بالتوجه مع فرقتنا الى السويداء حيث كان المقدم حسني جروس قائد الموقع وهو من اشد الضباط ولاءً لحسني الزعيم . والخطة المرسومة هي ان يتسلم جروس الفرقتين فوراً لدى وصولنا الى السويداء . ثم تصدر الاوامر الينا بالتوجه وحدنا ، وعلى جناح السرعة ، الى دمشق وهناك نبلغ امر تسريحنا ونُطرح في غياهب السجون ، فيكون امرنا قد انتهى ... وتبقى فرقتنا في قبضة جروس لضرب الجبل فيما اذا خطر للدروز ان يتحركوا احتجاجاً على تصفية اثنين من كبار ضباط طائفتهم دون اي مبرر .

لا ريب في ان تلك الحيلة كانت على جانب كبير من البراعة والاتقان ، إلا أنها لم تنطل عليّ فقد احسست بما كان يحاك لي في الخفاء .

فلما وصلت الى الشيخ مسكين ، وأنا في طريقي الى

السويداء ، امرت فرقتي بالتوقف وباخذ قسط من الراحة ، فجاء ابو عساف يقول لي :

ـ يا فضل الله ، حسني الزعيم ينوي القضاء علينا ، وهذه خطته قد بدأت تُنفذ ، فما رأيك ؟

أجبته :

ـ الرأي الوحيد هو ان نواصل السير حتى نصل الى السويداء فاذا امرنا هناك بترك فرقتينا للتوجه الى الشام يجب ان نرفض .. ان نتمرد .. ان نعلن العصيان ، وان نجمع انصارنا في الجبل لنقاتل .. فاذا انتصرنا نجونا ، ولا نجاة لنا إلا بالقتال والانتصار ! فاذا تخلينا عن قيادة فرقتينا هلكنا ، واذا ذهبنا الى دمشق وحيدين هلكنا .. ان طريقنا واضحة ، فلا بد لنا من القتال حتى النصر او الموت ! فاذا وافقت على هذا الرأي قاتلنا جنباً الى جنب ، واذا ابيت الا ان تطيع الاوامر فاعمل ما يطيب لك ودعني اقاتل وحدي ، لاني صممت نهائياً على القتال ولا قوة في العالم تستطيع ان تثنيني عن عزمي .

قال ابو عساف :

ـ قبل المجازفة بكل شيء ارى ان نعمد الى خدعة ، قد تكون ناجحة فلنذهب الى ازرع فنبقى هناك نهاراً وليلة متذرعين باننا ننتظر وصول عتاد الفرقتين من ادوات ومعدات وذخيرة ومؤن ومطابخ ، فنتصل بالرئيس محمد دياب ونعمل على ضوء ما يأتينا من الاخبار .

كان الرئيس محمد دياب في الشعبة الثالثة من الاركان العامة ، وكناقد اتفقنا معه على ان يتصل بنـــا تلفونياً كل ليلة ، فاذا قال لنا ان ابنه ما يزال مريضاً علمنا ان حسني الزعيم في قصره واننا نستطيع الزحف الى دمشق للقيام بالانقلاب ، واذا قال لنا ان ابنه قد تماثل الى الشفاء علمنا ان حسني الزعيم غائب وان هجومنا على دمشق يؤدي حتماً الى الاخفاق .

فلما وصلنا الى ازرع وعسكرنا فيها جاء سامي الحناوي في الساعة الثانية عشرة ليلا واخبرنا انه تلقى مخابرة تلفونية من دياب تقول ان ابنه في صحة جيدة ...

ارتبك ابو عساف ، وبـدا عليه شيء من الاضطراب ثم سألني قائلا : ـ ما العمل ؟

وسألني الحناوي كذلك ـ ما العمل ؟

قلت : ليس لنا الا طريقة واحدة وهي ان لا نذهب الى السويداء ...

ووجهت كلامي الى الحناوي قائلا :

ـ انت زعيم في الجيش ، وصلاحياتك واسعة ! فاعطنا امراً بالرجوع الى قطنه بحجة ان آلياتنا قد خرجت من المعركة وهي بحاجة الى اصلاح ، وان هذا الاصلاح لا يكون ممكناً وسريعاً الا اذا كنا على مقربة من دمشق .

قال الحناوي : قدموا لي تقريراً بهـــذا الشأن فأعطيكم الامر المطلوب .

وهكذا كان .

قدمنا التقرير ، وتلقينا الامر .

وفي اليوم التالي سرنا على طريق القنيطرة الى قطنة .

وكان الشعور بضرورة القيام بالانقلاب في أقرب ما يمكن لا يبارحني لحظة واحدة ، فرأيت أن احاول الزحف فوراً الى دمشق للقضاء على حسني الزعيم ، إلا أنه ، على سبيل التحفظ والاحتياط ، وضعت خطة دقيقة لاجتناب كل ما من شأنه ان يؤدي الى الاخفاق فارسلت امام فرقتي دراجات نـــارية في الصباح الباكر ، ثم مشيت في تمام الساعة التاسعة .

وكانت مهمة الدراجات ان تعود اليّ وأنا في طريقي الى قطنه وتنقل اليّ اخبـــار دمشق ، فاذا كان حسني الزعيم في قصره استمر الزحف الى العاصمة دون اي توقف ، والا ، فلا بد من التريث والانتظار .

وفي الساعة الثانية عشرة ليلا وصلت وفرقتي الى مفرق قطنه ، واذا بالدراجات تعود وتخبرني ان حسني الزعيم غائب فاضطررت ان أتوجه الى قطنه ، وان اقيم في معسكراتها اسبوعاً كاملا ، حتى اكتملت العدة وتم التأهب ، ثم كان الاجتماع التاريخي الحاسم .

نهاية حسني الزعيم

ان اعمال حسني الزعيم الشاذة ، وسياسته الملتوية الخرقاء هي التي جعلتنا نفكر بضرورة العمل للقيام بانقلاب جديد . فحسني الزعيم هو الذي حكم — بشذوذه وغرابة اطواره — على عهده بالانهيار ، وعلى نفسه بالموت .

بدأت الاتصالات تجري ، بصورة مباشرة ، بين الضباط الناقمين ، فاتجهت الانظار الى اللواء الاول المتمركز على الجبهة الفلسطينية ، بقيادة الزعيم سامي الحناوي .

كان هذا اللواء يتألف من ثلاثة افواج مشاة عدد كل فوج ١٧٠٠ مقاتل وسرية القيادة المؤلفة من ٢٠٠ مقاتل وفوج المدرعات الاول وفيه حوالي ٧٠ قطعة آلية مدرعة .

وفي ليلة ليلاء من اوائل ايلول ١٩٤٩ ، جاء الحناوي سراً من الجبهة ، تحت ستر الظلام ،فوصل في الساعة الثالثة عشرة ليلا الى مكان الاجتماع السري الحاسم ، الى مرتفع حرش عين زيوان الواقع على مسافة خمسة كيلومترات غربي القنيطرة ، حيث كان يعسكر فوج المدرعات الاول .

في ذلك المكان وفي خيمة عسكرية منفردة اجتمع ثلاثة: الزعيم سامي الحناوي ، والمقدم امين ابو عساف آمر فوج المدرعات الاول ، والملازم الاول فضل الله ابو منصور ، كاتب هذه المذكرات ، واخذنا نبحث الحالة الراهنة ، والخطر الذي يهدد البلاد ، وتفاصيل حركة الانقاذ التي لا بد منها ...

كنا ، نحن الثلاثة، نشعر في قرارات نفوسنا اننا متفقون ، وان السعي الى غاية مشتركة يوحد عزائمنا ، ويدفعنا الى القيام بعمل حاسم سريع ، إلا ان كلا منا كان يلتزم خطة التحفظ والاحتياط خوفاً من ان يكون احد الاثنين الآخرين عيناً عليه ، ورصداً يحصي حركاته وسكناته ... فقد كان الجو ثقيلا يخيم عليه الذعر والارهاب ...

ولكن ما كاد البحث يجري حتى تكشفت حقيقة النيات، فتبددت الشكوك، وزال الاحجام الناجم عن التخوف والارتياب.

واتفقنا على بذل كل الجهود للقيام بالانقلاب والقضاء على عهد حسني الزعيم ، وقررنا ، في حال الفشل ان ننسحب الى جبل الدروز ، لانشاء خط دفاع هناك ، يمكننا من مواصلة النضال .

ولما تم الاتفاق على كل شيء ، جملة وتفصيلا ، شهدت سماء سوريا مراسم القسم الرهيب ، اذ وقفنا متهيئين ورفعنا ايدينا

مقسمين بشرفنا ، وبالله العظيم على القيـام بالعمل الخطير الذي انتدبنا له انفسنا ، تلبية منا لنداء الوطن المحفوف بالاخطار .

كلف الحناوي القيام بالاتصالات الشعبية .

وبقي على ابو عساف وعلي ان نتصل بضباط الجيش .

وفي تلك الاثناء احس حسني الزعيم بان هناك حركة خفية تستهدف عهده ، فاطلق جواسيسه يبحثون ، وبث العيون والارصاد في كل مكان ، وأحاط نفسه بتدابير وقائية من كل نوع ، فغدت كل حركة مشبوهة تشكل خطراً على صاحبها ، وكل كلمة مبهمة تجعل قائلها في موضع الشبهة .

في ذلك الجو المحموم ، تحت كوابيس التجسس والمراقبة وفي خضم من الشائعات والاراجيف ، واصلنا عملنا ، وكل واحد منا يعلم ان المسألة اصبحت سباقاً سيكون الفوز فيه للمجلين ، والموت للمتخلفين .

هكذا اصبـح شعار الحركة « الضربة الرابحة لمن سبق » واصبح كسب الوقت وسرعة التصميم والتنفيذ شرطـين جوهريين من شروط النجاح .

وقد باشر حسني الزعيم تصفية الذين يرتاب بهم ويخشى نقمتهم ، فاخذ يسرح بعض الجنود والضباط ، بعد ان كان قد سرح العقيد اديب الشيشكلي ، وكان ينوي الاستعانة بضباط اجانب من الاتراك وغيرهم ، لاقامة حراسة قوية

تحميه من كل اعتداء . الا ان الضبـــاط السوريين سبقوه إلى العمل فتمكنوا من القضاء عليه .

ففي ١٣ آب ١٩٤٩ ، كان فوج المدرعات الاول متمركزاً في معسكرات قطنة الواقعـــة على مسافة ٣٠ كيلو متراً من دمشق غربـاً ، وفي الساعة الحادية عشرة ليلا ، عقد اجتماع حضره كل من :

الزعيم سامي الحناوي ، العقيد علم الدين قواص الذي كان معاون الحناوي الخاص ، المقدم أمين ابو عساف آمر الجمهرة ، الملازم الاول فضل‌الله ابو منصور آمر المدرعات ، الرئيس محمد دياب ، الرئيس عصام مريود ، الرئيس محمود رفاعي ، الرئيس فريد سيد درويش ، الملازم مصطفى دواليبي ، الملازم حسن حده ، الرئيس محمد معروف ، الرئيس طبيب اللواء ، الرئيس يعقوب مبيض ، الملازم الاول مصطفى مالكي ، الملازم الاول انطون خوري ، الملازم الاول حسين الحكيم ، الملازم غالب شقفة ، الملازم عبد الغني دهمان ، الملازم نور الدين كنج . الملازم بكري الزُبَري .

في ذلك الاجتماع التـاريخي تقرر القيام بالانقلاب فوراً ، اي في ليل ١٣ ــ ١٤ آب ، وكان قد تم الاتفاق مع ضباط حامية دمشق الذين اخذوا يراقبون مـــا يجري وهم على أتم استعداد لمجابهـــة الطوارىء ، ومن هؤلاء الضباط : الرئيس

زياد الاتاسي ، الرئيس توفيق الشوفي وكثيرون غيرهما ، كما ان قوات شعبية كانت تنتظر القوات المسلحة القادمة من قطنة لتسهل لها احتلال دمشق وتشترك معها في الحركة الانقلابية اذا دعت الحاجة .

كتبنا المهات على أوراق صغيرة ، وتركنا للضباط حرية اختيار العمل الذي يريدون القيام به . ولما طرحت مهمة احتلال قصر الرئاسة واعتقال حسني الزعيم ، ساد صمت ثقيل وعلا الاصفرار بعض الوجوه، فمددت يدي الى الورقة واخذتها قائلا : « هذه مهمتي !.. والله لو اخذها غيري لما رضيت ! »

فارتفعت الايدي تحييني : « يحيا ابو منصور !..»وشرب الحاضرون نخبي ، كؤوساً مترعة من الوسكي .

وفي الساعة الثالثة عشرة ليلا ، اي بعد مرور ثلاث ساعات على بدء الاجتماع وزعت المهات خطياً على الضباط فأعلن سامي الحناوي قائداً للانقلاب ، والعقيد علم الدين معاون قائد الانقلاب ، والمقدم امين ابو عساف قائد الجمهرة أما انا – وكنت ملازماً اولا – فقد اسندت اليّ المهمة الرئيسية التي اخذتها وهي دخول الشام واعتقال رئيس الجمهورية حسني الزعيم ، فانطلقت للقيام بهذه المهمة على رأس ست مصفحات وستين جندياً تنقلهم سيارات .

وانطلق في الوقت نفسه كل من الرئيس عصام مريود ،

والملازم الاول حسين الحكيم ، والملازم عبد الغني دهان على رأس ثلاث مصفحات وثلاثين جندياً لاعتقال محسن البرازي ، رئيس الوزارة .

وسار الرئيس محمد دياب والملازم نور الدين كنج مع ثلاث مصفحات وثلاثين جندياً لاحتلال مركز شرطة دمشق .

ومشى الرئيس محمود رفاعي والملازم بكري الزُبَري مع ثلاث مصفحات وثلاثين جندياً لاعتقال المقدم ابراهيم الحسيني آمر الشرطة العسكرية .

وسار الرئيس فريد سيد درويش والملازم مصطفى الدواليبي على رأس ثلاث مصفحات وثلاثين جندياً لاحتلال البنك والمحافظة عليه .

ومشى الملازم حسين حده مع ثلاث مصفحات وثلاثين جندياً لاحتلال قلعة الدرك .

اما القوة الباقية ، وهي مؤلفة من ست مصفحات وفوج مشاة وكل من الزعيم سامي الحناوي ، والعقيد علم الدين ، والمقدم امين ابوعساف ، والرئيس خالد جاده، والملازم الاول يعقوب مبيض ، والملازم انطون خوري ، فقد كانت مهمتهم احتلال مركز الاركان العامة والتمركز فيه .

واسندت الى الرئيس محمد معروف مهمة اعتقال بعض

الضباط المعروفين بولائهم لحسني الزعيم وبعض الشخصيات السياسية المشبوهة .

وقد كان نظام الزحف على الوجه التالي :

اولا – الزعيم سامي الحناوي مع اركانه وقائد الجمهرة امين ابو عساف .

ثانياً – الملازم الاول فضل الله ابو منصور مع فرقته في المقدمة .

ثالثاً – الرئيس عصام مريود مع فرقته .

رابعاً – الرئيس محمود رفاعي مع فرقته .

خامساً – الرئيس فريد بسيد درويش مع فرقته .

سادساً – الملازم حسين حده مع فرقته .

سابعاً – الملازم يعقوب مبيض في المؤخرة مع القوة الاحتياطية .

وصل الزاحفون الى مدخل دمشق – مفرق كيوان – في الساعة الواحدة والدقيقة ٤٥ ليلاً ، وهناك توقفوا مدة اربع دقائق .

في تلك الفترة الوجيزة ، جاءني الحناوي وقال لي :

– يا اخي فضل الله ، اني اتكل عليك لانتصار حركتنا ، وارجو لك التوفيق في المهمة المسندة اليك ، ولكني في الوقت نفسه ادعوك الى تنفيذ الخطة باسرع ما يمكن . ونحن

سنبقى هنا ننتظر علماً منك ، لنقرر خطوتنا الآتية على ضوء ما سيحدث .

اجبته :

– بعد قليل سترى وتسمع ما يسرك يا سيدي الزعيم .

انطلقت بمصفحاتي ورجالي ، في ليل صافي السماء ، لامع النجوم يخيم عليه السكون والهدوء التامان ، حتى بلغت مفرق شارع ابو رمانه ، حيث كان مقر حسني الزعيم . ومن هناك توجهت ، وانا على سيارتي في مقدمة المصفحات والجنود، نحو ذلك المقر ، وكان الزحف قليل الجلبة والضوضاء ، يكاد لا يشعر به احد .

ولما وصل الرتل الى مسافة حوالي ثلاثماية متر عن القصر ترجلت من سيارتي ومشيت بعد ان قسمت مصفحاتي قسمين، فجعلت ثلاثاً منها الى يميني وثلاثاً الى يساري ...

واستمر الزحف دون ضجيج لان اصوات المحركات كانت مخنوقة تهدر على مهل ...

وفجأة ظهرت دورية مؤلفة من اربع دراجات نارية من شرطة الجيش، وكانت تقوم بجولة حول القصر ومهمتها حراسة القصر من الخارج ، فتصديت لها ، وامرتها بالوقوف فوقفت واعتقلتها دون ان تبدي اية مقاومة ، وانتزعت اسلحتها ثم واصلت السير بهدوء حتى بلغت القصر .

كانت دمشق هادئة ، كأنها تغط في نوم عميق ، فلا ُيسمع في هدأة الليل ، سوى تزمير سيارة بعيدة ، او خفق أجنحة الخفافيش في الظلام الحالك .

وادركت ان الساعة الحاسمة قـــد دنت ، واحسست في الوقت نفسه بقوة خارقة تدفعني الى العمل ، وبان النصر اصبح في قبضة يدي .

كنت قد درست بكل دقة وضع القصر ، مـــداخله ، ومخارجه ، وابوابه ، ونوافذه ، وحدائقه،وشرفاته ، فوزعت جنودي بصورة تمكنهم من التمركز للقتال، وصففت مصفحاتي بشكل يجعلها قادرة على الضرب والتدمير اذا دعت الحاجة .

كان القصر مربع الشكل ، يحيط به سور عالٍ وسياج ، وله مدخلان فوضعت على كل مدخـــل مصفحة ووزعت المصفحات الاربع الباقية حول السور .

اما الجنود فقد امرتهم بالدخول الى الحديقة وبالتمركز تجاه مدخلي القصر الرئيسيين ...

في اثناء هذه العملية خرج موظف الامن العام الذي يقيم عادة على الباب الخارجي مع الخفير فاعتقلته فوراً .

اما رجال الحرس ، فكان عددهم يناهز الـثلاثين ، وكلهم من الشراكسة وكان رئيسهم متغيباً عمداً بموجب اتفاق سابق مع رجال الانقلاب ، وبموجب رشوة قيمة اغرته فابعدته .

وكان بين جنودي الاشداء رجل اسمه على جسمه ، اذ انه شركسي يدعى ادهم شركسي ، فأمرته بمخاطبة رجال الحرس بلغتهم ، وبانذارهم بان مقاومتهم لا تجدي لان كل شيء قد انتهى والانقلاب قد تم ... فقام ادهم بهذه المهمة على الوجه الاكمل واستسلم رجال الحرس دون ان يقوموا باية محاولة او ان يطلقوا رصاصة واحدة !

ولما تمت عملية التطويق مشيت الى باب القصر يرافقني ادهم شركسي والرقيب فايز عدوان ، وقرعت الباب بقوة ... فلم اسمع جواباً ... وكررت قرع الباب ثانية وثالثة والليل ساج ، والهدوء شامل ، والصمت تام ... حتى خيل الى الجنود المتربصين انهم يسمعون نبض قلوبهم !..

واصلت قرع الباب بشدة ، فاذا بالانوار الكهربائية تشع ، واذا بحسني الزعيم يطل من الشرفة صائحاً : « ما هذا ؟ ما هذا ؟ من هنا ... ماذا جرى ؟ »

اجبته بلهجة الامر الصارم :

ـ استسلم حالا ، فكل شيء قد انتهى ، والا دمرت هذا القصر على رأسك !

فانتفض حسني الزعيم ، وتراجع مذعوراً !

عاجلته بوابل من رشيشتي ، إلا انه دخل القصر وتوارى فيه .

ولما مزقت طلقات الرصاص سكون الليـل ، حدثت في الحي رجة رعب .

فتحت نوافذ ، واغلقت ابواب ، وسرى في العتمة مـا يشبه الهمس والتساؤل ، ثم سيطر كابوس الخوف فعـاد كل شيء الى الصمت الشامل التام .

ورأيت ان الانتظار مضيعة للوقت ، فاطلقت رصاص رشيشتي على باب القصر حتى حطمته ودخلت ...

واذا بحسني الزعيم ينزل من الدور الثاني وهو يرتدي بنطلونه فوق ثيـاب النوم – البيجاما – وزوجته وراءه تصيـح :

– حسني ، حسني ، الى اين يا حسني ؟

وقبل ان يتمكن حسني من الرد على زوجته ، دنوت منه واعتقلته ثم صفعته صفعة كان لها في ارجاء القصر دوي ...

قال حسني محتجاً :

– لا تضربني ، يا رجل ، هذا لا يجوز ، احترم كرامتي العسكرية !

اجبته بقسوة نم عنها صوتي المتهدّج :

– انا اول من يحترم الكرامة العسكرية ، لاني اشعر بها واقدسها وابذل دمي في سبيلها ، اما من كان مثلك فلا كرامة له ولا شرف ... اما اقسمت للزعيم سعادة يمين الولاء وقدمت

له مسدسك عربوناً لتلك اليمين ثم خنته وارسلته الى الموت حانثاً بقسمك ، ناكثاً بعهدك ؟

قال حسني : والله يا بابا انا بريء ... اتهموني بذلـــك ولكني بريء .

فانتهرته قائلا :

— هيا بنا ، اخرج ، لا مجال لكثرة الكلام !

ومشى حسني الى الخارج صاغراً وهو يحاول ان يكبت الخوف الذي اخذ يبدو بوضوح في قسمات وجهه وحركاته المرتبكة .

وكنت في ثياب الميدان ، وقد ارخيت لحيتي السوداء الكثة فبدوت اشعث رهيباً .

لم يعرفني حسني في بادىء الأمر ، وحسبني شركسياً ، فأخذ يخاطبني باللغة التركية ، ولكني امرته بالتزام الصمت ، ثم ادخلته الى المصفحة التي كانت تنتظر على الباب الخارجي وسرت به صوب المزه ...

كان حسني في المصفحة ساهماً تائه النظرات ، كأنه لا يصدق ما يرى ويسمع ... كأنه يحسب نفسه في منام مخيف ... ثم تحرك محاولا انقاذ نفسه وتفرّس بوجهي فعرفني ، وتظاهر بشيء من الارتياح ثم قال لي :

— يا فضل الله ، انا بين يديك ، معي ثمانون الف ليرة ،

خذ منها ستين الفاً لك ووزع عشرين الفاً على جنودك واطلق سراحي ، دعني اهرب الى خارج البلاد .

أجبته سائلاً :

– من اين لك هـــذه الثروة ؟ ألست انت القائل انك دخلت الحكم فقيراً وستخرج منه فقيراً ؟ كيف انقلب فقرك ثراء ؟

فاخذ يتمتم :

– والله يا بابا انا بريء ، انا بريء ... هــذه مؤامرة عليّ دبرها الانـكليز لتقويض استقلال البلاد .

قلت له :

– لا تخف على الاستقلال ، فنحن حريصون عليه ونعرف كيف نصونه من كل اذى .

ورأى حسني المجال مفتوحاً للأخذ والرد لعله يتمكن من استمالة الجنود وكسب عطفهم فخاطبهم قائلا :

– والله بابا انا بريء ، انا احبكم ، انا جندي مثلكم !..

اجابه فايز عدوان :

– لو كنت تحبنا لما باشرت تسريحنا دون سبب ونحن في الجبهة نقاتل اعداء الوطن...انت لا تخاف الله ولا تحب احداً.

قـال : والله يا اخواني انا مظلوم ... الذي سرحكم هو عبدالله عطفه رئيس الاركان العامة اما انا فقد اصدرت امراً لتشغيلكم في خط التابلاين .

عند هذا الحد امرت حسني بالصمت وحظّرت عليه مخاطبة الجنود ، فساد على المصفحة صمت ثقيل ، اذ لزم حسني الصمت ، وقد بدا على ملامحه الرعب الشديد من هولَ المفاجأة، فكان ينظر الى مسدسي المصوب الى رأسه ، والى رشيشات الجنود المحيطة به فتلمع عيناه ذعراً .

سارت المصفحة على طريق المزه ، الى حيث كان الحناوي واركانه ينتظرون خارج المدينة حتى تأتيهم الاخبار عن نتيجة مغامرتي ، ولما وصلت الى مفرق كيوان وجهت رسولا ينقل خبر اعتقال حسني الزعيم الى الحناوي ويسأله :

— « ماذا تريدون ان اعمل بالاسير ؟»

ما كاد الرسول ينطلق على دراجته النارية حتى تكلم حسني وسألني :

— « من هو قائد الانقلاب... ايكون انور بنود ؟ »

اجبته بالنفي ولم اذكر اسم احد ، فاستطرد حسني قائلا : « اذن فهو الزعيم سامي الحناوي ! » فنهرته قائلا :

— « هذا لا يعنيك الان ولا يهمك ، ستعرف ما يجب ان تعرفه بعد قليل » .

ولما تأخرت الدراجة رأيت ان طول الانتظار على مفرق كيوان لا يوافق فامرت آمر المصفحة ، فايز عدوان ، من الكفر ، بمواصلة السير على طريق المزة — القنيطرة ، ولما

ابتعدت عن المدينة ، انحرفت عن الطريق صوب اليسار واقمت انتظر .

كنت اظن ان الجميع قد زحفوا معي الى دمشق، ولكني علمت فيما بعد انهم تريثوا حتى يروا نتيجة قيامي بمهمتي .

ولما وصلت الى مفرق كيوان ، عائداً من القصر الجمهوري، بتلك السرعة التي عدت بها ، ظن كثيرون اني فشلت ولذت بالفرار ، فكادوا يفرون هم ايضاً .

وعاد الرسول بعد نصف ساعة يقول لي : « القيادة تطلب اليك ان تبقى هنا حتى يأتيك منها اشعار بما ينبغي ان تعمل ! »

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف بعد نصف الليل، اي ان عملية الانقلاب واعتقال رئيس الجمهورية انتهت في ربع ساعة ، ثم مضت نصف ساعة على الطريق بانتظار اوامر القيادة .

واقمت انتظر في المصفحة ، دون ان احوّل نظري عن حسني الزعيم حتى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ .

لا ريب في ان حسني قد فوجىء بالهجوم على قصره وهو في فراشه لانه كان يلبس بنطلونه العسكري المختص برتبة مشير وقميصاً تحتانية من القطن ، مما يدل على انه هب من فراشه مذعوراً ولبس بنطلونه بسرعة دون ان يجد متسعاً من

الوقت ليلبس شيئاً آخر، لذلك احس بالبرد وخاطبني قائلا :
« يا فضل الله اعطني معطفك ، بردان !» فخلعت معطفي ، وهو قصير من نوع «تراوكار» واعطيته اياه ، فارتداه شاكراً، ثم طلب سيكارة ، فاشعلت واحدة من النوع المختص بالجيش وقدمتها له ، فاخذ يدخن ساهماً ، وقد بدا عليه شيء من الارتياح لاني اعطيته كل ما طلب ، وخيل اليه ان هذه المسايرة تدعو الى التفاؤل . فحاول من جديد ان يخاطب الجنود ، ولكنني امرته بالصمت فقال :

– الى اين تريدون ان تأخذوني ؟

قلت : الى مكان يليق بك ، فلا تخف !

قال : دعوني انزل قليلا من المصفحة ... اريد ان اقضي حاجة !

قلت : اقض حاجتك في المصفحة ولا حرج عليك !

فاطاع دون ان يفوه بكلمة ،وقضى حاجته في المصفحة!.

وفي الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ وصل الرئيس عصام مريود ، والملازم الاول حسن الحكيم والملازم عبد الغني دهمان في مصفحة تتبعهم سيارة كبيرة ملأى بالجنود ، ومعهم معتقل آخر هو رئيس الوزارة محسن البرازي ، يرافقه ابنه .

بقي الابن في المصفحة على الطريق ، وجاءني الجنود بمحسن جرياً على الاقدام، فاذا هو في ثياب النوم «البيجاما»

يرتعد خوفاً ويردد بصوت مرتجف : « ارحموني ... ليس لي اية علاقة بما جرى ... ارحموني ... ارحموا اطفالي ... دخيلكم ! »

وتكلم الرئيس عصام مريود فقال لي: « حكمت القيادة على حسني الزعيم ومحسن البرازي بالاعدام ، ويجب ان يتم التنفيذ فوراً ... هذا هو قرار المجلس الحربي ! »

فامسكت حسني الزعيم بيدي اليسرى ، ومحسن البرازي بيدي اليمنى ، وسرت بهما الى المكان الذي تقرر ان يلاقيا فيه حتفهما ، وهو يقع على مقربة من مقبرة كانت للفرنسيين في مكان منخفض، وقد ادرت وجهيهما صوب الشرق، صوب دمشق، وكان الجنود في موقف التأهب لاطلاق النار..

اوقفتهما جنباً الى جنب ، وتراجعت مفسحاً للجنود مجال التنفيذ ، فاذا بمحسن البرازي يصيح : « دخيلكم ... ارحموني ... اطفالي ... انا بريء ! »

واذا بحسني الزعيم يشجعه باللغة الفرنسية قائلا :

« N'ayez pas peur, ils ne nous Tueront pas... C'est impossible ! »

اي : « لا تخف ، لن يقتلونا ، هذا مستحيل ! »

وما كاد حسني يصل الى هذا الحد من كلامه حتى انطلق الرصاص يمزق الرجلين ويمزق ازيزه سكون الليل .

لم يكن الفجر قد بزغ بعد ، انما كان يرسل تباشير من الضوء المبهم الضئيل الى قبة السماء .

ونظرت الى ما حولي فرأيت ان الضباط الذين كانوا معي قد ذهبوا وتركوني وحدي مع الجثتين المخضبتين بالدم .

لم يبق معي الا اربعة جنود اذكر منهم ثلاثة هم: الرقيب الاول فايز عدوان ، عواد بدوي، حسين بنيان .

امرت بنقل الجثتين الى المصفحة ، ثم سرت الى المستشفى العسكري لاضعها في غرفة الموتى .

كان المستشفى مظلماً ، وكل من فيـــه غارقاً في النوم ، فاستدعيت رئيس الحرس وطلبت منه ان يقرع الباب وان يدعو الطبيب المناوب – وكان يومذاك الرئيس الامام – ولما جاء دنوت منه وقلت له :

– معي ، في هذه المصفحة ، جثتا حسني الزعيم ومحسن البرازي ...

فصعق الطبيب كأن جبلا قـد انهار على رأسه ، ثم شهق وصاح ؟

– ما ... ماذا تقول ؟

وكاد يسقط على الارض من شدة الذعر ، فصفعته لاعيده الى صوابه ، وانتهرته قائلا :

– اصمت ! اياك ان تقول كلمة...والا خطفت روحك... ارسل محملا لنقل الجثتين حالا .

وبينما كانت تجري عملية النقل ، صعدت الى المستشفى فلقيت توفيق جمال ، وكان جريحاً ، اصيب في معركة كعوش . ولما اخبرته بما جرى قال لي ان شقيق حسني الزعيم – واسمه بشير – موجود في المستشفى لاجراء عملية جراحية في انفه ، وهو مفوض شرطة برتبة رئيس ، فذهبت اليه فوراً ، وامرته بتسليم مسدسه ، فأخذه من تحت وسادته وناولني اياه ، ثم امرته بالنهوض وبارتداء ملابسه ، فأطاع . فأخذته معي الى المزه ، وسلمته لعزت حسين ، مدير السجن .

قلت لحسين هذا : « اذا وقع شيء مؤسف للسجناء فان المسؤولية تقع عليك » . وفي صباح اليوم التالي اخرجنا من المزه القوميين الذين هاجموا قلعة راشيا .

اما جثتا حسني الزعيم ومحسن البرازي ، فقد اقفلت عليهما باب الغرفة التي وُضعتا فيها ، واحتفظت بالمفتاح ، ثم توجهت الى قيادة فرقتي التي كانت مكلفة حراسة مقر حسني الزعيم .

وفي الساعة السادسة صباحاً ، استوليت مع قسم من فرقتي على القصر الجمهوري الواقع في الصالحية ، وختمته بالشمع الاحمر ، ووضعت عليه حراسة ، ثم توجهت الى رئاسة الاركان العامة لمقابلة الزعيم سامي الحناوي .

ما كاد الحناوي يراني حتى هرول الي يعانقني ، وقد

ملأت الدموع عينيه ، وبعد عناق حار طويل ، ابلغني امام ضباط الاركان قراراً يقضي بمنحي وسام جوقة الشرف من رتبة فارس ، ثم قال :

ـ يا فضل الله ، انت صاحب الفضل الاكبر في نجاح هذا الانقلاب . اني اقدر جهودك ، واعترف بانها هي التي قادتنا الى النصر .

ثم امرني بالذهاب مع فرقتي للقيام بجولات واسعة في دمشق للمحافظة على الامن ، فنفذت هذا الامر فوراً ، دون ان اشعر باية حاجة الى الراحة .

كانت مدينة دمشق هادئة ، وقد انصرف السكان الى اعمالهم بحالة طبيعية كأن امر الانقلاب لا يعنيهم ، مما جعل جولتي في الاحياء نزهة ما كلفتني اي عناء .

هكذا انهار عهد حسني الزعيم وبدأ عهد سامي الحناوي .

اسباب الانقلاب الثالث

لما استتب الامر لرجال الانقلاب الثاني ، بدأ يتضح بعض الامور التي كانت خفية .

لقد اشرت في فصل سابق الى اني ، بعد اعتقال حسني الزعيم اضطررت ان انتظر على طريق المزة مدة نصف ساعة قبل ان يصلني اي خبر من قائد الانقلاب سامي الحناوي .

اين كانت القوات الانقلابية المسلحة حين كنت احاصر القصر الجمهوري واعتقل حسني الزعيم ؟

لماذا تأخرت تلك القوات عن القيـــام فوراً بالمهمات التي اسندت اليها في اجتماع قطنا ؟

الجواب على هذين السؤالين يجب ان يبقى للتاريخ !

قبل ان يعلم سامي الحناوي بنجاح مهمتي وباني اعتقلت حسني الزعيم ، اخبره علم الدين قواص ان الحركة الانقلابية قد اخفقت لانه سمع طلقات نارية ، ورأى احدى مصفحاتي تعود بسرعة ، اي بعد مرور ربع ساعة تقريباً على بدء مهاجمة

القصر ؛ فخيل اليه ان هذه الفترةالوجيزة لا يمكن ان تكفي لمحاصرة القصر ، واخضاع رجال الحرس ، واعتقال رئيس الجمهورية ، فنقل وجهة نظره فوراً الى الزعيم الحناوي وقال ان المحاولة قد فشلت ، وان الفرار اصبح امراً محتماً .

فأمر الحناوي سائق سيارته وحاشيته بالتوجه الى مطار المزه حيث كانت احدى الطائرات تنتظره للذهاب الى العراق برفقة كل من : معاونه علم الدين قواص ، ومرافقه خالد جادا، وقائد الطائرة عصام مريود .

ولم يكن من المستغرب ان يؤخذ الحناوي ومن كان معه بذلك الوهم ، لاني بعد اعتقال حسني الزعيم تركت القصر مطوقاً بخمس مصفحات وستين جندياً ، اي كل الفرقة التي كانت معي في تلك المهمة ، وعدت بالمصفحة التي وضعت فيها حسني الزعيم وقد سارت امامي سيارة جيب مسلحة ودراجة نارية لا غير .

وكان قصدي من ذلك ان ابلغ الحناوي نجاح مهمتي ، وان اسلمه حسني الزعيم ... إلا اني سمعت العقيد علم الدين قواص يقول للحناوي ما ذكرت آنفاً ، ورأيت الجماعة يهمون بالتوجه الى مطار المزه ، فأرسلت الدراجة في أثرهم لتنقل اليهم الخبر اليقين ، ولتعلمهم اني متوجه بأسيري الى طريق المزه ، واني بانتظار اوامر القيادة .

لقد كان لهذه الحادثة رجة قاسية في أعماقي ، فأخذت اسائل نفسي :

– لماذا اراد الحناوي الفرار الى العراق ؟ ألم نقسم ، الحناوي وابو عساف وانا ، في تلك الخيمة القائمة على هضبة حرش عين زيوان ، على ان ننشيء خط دفاع ومقاومة ونضال في جبل الدروز ، اذا اخفقت الحركة الانقلابية ؟

كيف اجاز الحناوي لنفسه الحنث بذلك القسم ؟

وكيف اعتزم الفرار الى العراق ؟

لقد اتصل هو نفسه بالامير حسن الاطرش ، واتفق معه على انشاء تلك الجبهة الدفاعية ، فما الذي جعله يتناسى العهود والاتفاقات ليفر الى العراق ؟

ما كدت اطلع على تلك المعلومات الخطيرة حتى اتصلت بامين ابو عساف ونقلتها اليه ، فأخذته الدهشة واشكل عليه الامر .

ولم يكن ابو عساف وحده في ذلك الموقف المحفوف بالشك والارتياب ، بل كان معه ومعي لا اقل من عشرين ضابطاً ، ساءهم ان ينكث الحناوي عهده ، وان يحنث بيمينه ، ليفر الى العراق بدلاً من ان يواصل النضال مع رجاله في جبل الدروز .

اخذ اولئك الضباط يجتمعون ويتباحثون ويدرسون الامر

الواقع ، فعلموا ان الحناوي يعمل على اساس اتفاق بينه وبين كل من العقيد علم الدين قواص ، الرئيس خالد جادا ، الرئيس عصام مريود ، الرئيس محمد معروف ، الرئيس محمد دياب ، اسعد طلس – عديل الحناوي ولولب الحركة –

كان ذلك الاتفاق وحياً « هابطاً » من العراق تباركه بريطانيا ، فثبت لنا ان هناك أموراً مبيتة ، فكان هذا بدء التباعد بيننا وبين سامي الحناوي وحاشيته .

كان حسني الزعيم قد سرح كلاً من العقيد اديب الشيشكلي والعقيد حمد الاطرش ، فلما تم انقلاب الحناوي اعيدا الى الخدمة في اليوم التالي بموجب قرار من المجلس الحربي الاعلى ، فتولى الشيشكلي قيادة اللواء الاول عوضاً عن الزعيم الحناوي ، وتسلم حمد الاطرش قيادة سلاح المدرعات .

على اثر ذلك اتصلنا بالشيشكلي واطلعناه على ما تبين لنا من خفايا الانقلاب الثاني ثم اخذ الموقف ينجلي اذ أنهمرت اموال العراق –ومن خلفها الاصابع الانكليزية– على الحناوي وانصاره الذين شرعوا يدعون للانضمام الى العراق ، يؤيدهم في ذلك حزب الشعب ، وهو يومذاك اكبر حزب سياسي في الجمهورية السورية .

وحسب الحناوي انه يستطيع ان يجمع حوله كل القوى فأرسل ضباط حاشيته يتصلون بزملائهم في الجيش للاطلاع على

حقيقة مواقفهم ، ثم لدعوتهم الى تأييد سياسة الانضمام ، ولكننا التزمنا خطة التحفظ ثم اتفقنا مع الشيشكلي على تشكيل جبهة معارضة من الضباط والاحزاب ورجال السياسة، فكانت تلك الخطوة البادرة الاولى من الاختلاف السافر الذي نشب بيننا وبين الحناوي .

كان اقطاب جبهة الانضمام الى العراق :
سامي الحناوي :رئيس الاركان العامة .
علم الدين قواص : معاون رئيس الاركان .
حمد الاطرش : قائد سلاح الفرسان .
خالد جادا : مرافق الحناوي .
عصام مريود: ضابط في سلاح الطيران (قائد سرب).
محمد دياب : مدير شرطة حلب
محمد معروف : قائد الشرطة العسكرية
محمود الرفاعي : رئيس المكتب الثاني
صبحي عبّاره : ضابط في سلاح المدرعات
سليمان ناجي : قائد مصلحة الهندسة
وعدد كبير من صغار الضباط .

وتألفت الجبهة المعارضة من :
العقيد اديب الشيشكلي : قائد اللواء الاول.
العقيد عزيز عبد الكريم :قائد سلاح المدفعية.

العقيد توفيق نظام الدين: مدير ادارة الجيش في الاركان العامة.
العقيد شوكت شقير: معاون رئيس الاركان الاداري.
العقيد محمود بنيان: قائد قوى البادية.
امين ابو عساف: آمر سلاح المدرعات.
محمد ناصر: رئيس الشعبة الثالثة في الاركان العامة.
وعدد كبير ايضاً من الضباط.

اما انا فكنت قد اتفقت مع اديب الشيشكلي على ان اتظاهر بالحياد ليحسب الحناوي اني معه، فأستطيع بذلك ان اقدم اكثر ما يمكن من المساعدة للفريق المعارض.

اخذت الجبهة المعارضة تعقد اجتماعات سرية كل ليلة تقريباً لدرس الاوضاع واتخاذ التدابير اللازمة للحؤول دون الانضمام، كما اخذت تتصل بالاحزاب ورجالات البلاد.

فتنبه الحناوي الى ما يجري وفرض على المعارضين مراقبة شديدة، ثم قرر، قبل الانقلاب باسبوع واحد، ان يعتقل كبار المعارضين، فمهد لذلك باجتماع كبير عقده في داره بشارع ابو رمانه وحضره اقطاب مؤيديه من الضباط والمدنيين وفي مقدمتهم المقدم محمود الرفاعي رئيس الشعبة الثانية والمقدم محمد معروف وعصام مريود والمقدم خالد جادا.

في ذلك الحين كنت اتولى قيادة المدرعات عوضاً عن العقيد امين ابو عساف الذي كان يمضي مأذونية شهر في جبل

الدروز ، وقد وقع الاجتماع الذي عقده الحناوي في منزله ، يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة ، لذلك كنت ارتدي الثياب المدنية لتمضية عطلتي الاسبوعية في المدينة ، فان بيتي كان في القابون ، وفي داخل الثكنة .

وحوالي الساعة الثانية عشرة نهاراً رن جرس التلفون ، واذا بصوت يسأل :

— من انت ؟

قلت : الرئيس فضل الله ابو منصور .

قال : تكلم مع اللواء سامي الحناوي .

وتكلم الحناوي فقال :

— يا فضل الله ، احضر حالا الى بيتي فاني بحاجة ماسة اليك .

قلت : حاضر ، سيدي اللواء ، اني الآن في الثياب المدنية لذلك سأتأخر قليلا ريثما اخلعها وارتدي البزة العسكرية .

قال : لا بأس احضر حالا كما انت فالوقت لا يسمح بالتأخر .

فغادرت بيتي فوراً وتوجهت الى بيت الحناوي حيث استوقفني رئيس الحرس واعطى اشعاراً بوصولي ليؤذن لي بالدخول ، وذلك اسلوب لم اكن اعهده من قبل ، مما يدل على ان اللواء كان محتاطاً للمفاجآت .

ولما دخلت استقبلني المرافق المقدم خالد جادا مرحباً ثم

اخذ يعاتب قائلا : نحن نحبك ،يا فضل الله ، اهلا وسهلا بك ، فلماذا تقاطعنا وتبتعد عنا ؟ متى اسأنا اليك لتجفونا هكذا ؟ ألا تعلم اننا نحترمك ونقدرك ونود ان نبقى معك جنباً الى جنب ؟

قلت : والله يا خالد ، لا تباعد بيننا ولا جفاء ، انما نحن الآن في فترة تنظيم وتدريب ، وهذه المهمة تستغرق وقتي كله ، فالفوج الذي اتولى قيادته يتطلب مني القيام بهذا الواجب .

قال : الله يعطيك العافية . تفضل ، فاللواء الحناوي ينتظرك . ودخلت الغرفة التي اشار اليها المرافق فوجدت فيها الحناوي وضباطه الثلاثة اي محمود الرفاعي ومحمد معروف وعصام مريود ، ثم دخل خالد جادا .

استقبلني الحناوي مرحباً ، ثم سألني ، بكل لطف ، عما اذا كنت مطلعاً على اعمال العقداء المعارضين واجتماعاتهم والغاية التي يرمون اليها ، فاجبته بالنفي ، فاستطرد قائلا :

— لست ادري ما هي الاساءة التي اغضبت اديب الشيشكلي وجعلته يبتعد عني وينقم عليّ ... كل ما في الامر اني ارجعته الى الجيش بعد ان سرحه حسني الزعيم ، وسلمته احسن قيادة ، ومحضته ثقتي ومحبتي ، فاذا به ينقلب علي دون سبب ويعد الدسائس ويدبر المؤامرات للقيام بانقلاب ...ففي

الليلة الماضيــــة ارسل هو وضباطه تهديداً بالتلفون الى حمد الاطرش ... ثم ألا ترى اعمال التشويش والارهاب والبلبلة التي يقومون بها مع الاحزاب وبعض الضباط لاشاعة الفوضى والاخلال بالأمن ؟ ...

وبعد سكوت قصير ، اخذ يعبث بقلم كان بين يديــه ثم قال :

– يا فضل الله ، قل لي بربك ، ماذا يريدون ؟

قلت : والله ، يا سيدي اللواء ، لا ادري من مقصــدهم شيئــاً .

وجرى بعد ذلك نقاش وتبادل آراء حول ترتيب خطة حاسمة للخلاص من المعارضين .

وكانت النتيجة ان المجتمعين اعربوا عن استيائهم الشديــد وقرروا بالاجماع اعتقال المعارضين وتقديمهم للمحاكمة ثم فرض العقوبات عليهم وتسريحهم من الجيش .

واسندت مهمة الاعتقال الى المقدم محمد معروف قــائد الشرطة العسكرية ، وكانت الخطة المرسومة لهذه الغاية تقضي باستدعاء المعارضين واحداً بعد الآخر لمقابلة الحناوي في بيته فيجري اعتقالهم هكذا على اهون سبيل .

وقد اتخذت التدابير لتنفيذ هذه الخطة فجهزت فرقة من شرطة الجيش واعدت القيود والاصفاد الحديدية .

ولما انتهى الاجتماع اخذني الحناوي الى الصالون وخاطبني على حدة قائـلا : « يا فضل ، اني اعتمد عليك اليوم كما كنت اعتمد عليك قبلا ... اولئك الخونة قد اصبحوا الان اعدائي بدون سبب ، وأنت أدرى الناس بحقيقتي ، فأنا والله لا غاية لي في الحكم ولا مأرب شخصي ، ولا مصلحة خصوصية ،فكل ما ارمي اليه هو مصلحة البلاد وخير الشعب ، لذلـك اريد منك ان تستنفر فرقة المدرعات ، وان تجعلها متأهبة للعمل في كل لحظة ، وتراني مستعداً لمكافأتك بالترقية وباي مبلغ تريده من المال . كما اني سأرسلك على رأس بعثة الى فرنسا ...

وكأني بـه أحس بان الوعد بالترقية قد جاء متأخراً فأخذ يربت على كتفي متحبباً وهو يقول :

ـ والله يا فضل الله ما نسيتك ، ولا اهملتك ، ولا غرب امرك عن بالي ، ولكن انت ترى الظروف الـتي تواجهني والمشاغل الخطيرة التي تستغرق أوقاتي فلا تترك لي متسعاً من الوقت للنظر في قضايا المستحقين من الضباط . أما الان فمـن الضروري ان نتكاتف وان نتعاون من أجل غايـة واحدة وهدف واحد ... اكرر عليك ان املي بك كبير وثقتي بك متينة لا تتزعزع واني اقدر جهودك حق قدرها .

قلت : اقسم لك يا سيدي اللواء باني لا اريد شيئاً ممـا وعدتني بـه ، فحسبي فخراً ان اخدم بلادي بامانة واخلاص

وان اكون رجل مباديء وعمل ، وتراني اقطع لك عهداً على ان اعمل كل ما في وسعي لمصلحة بلادي فكن مطمئناً من هذا القبيل .

قال : ما هي القوات الجاهزة التي تتولى قيادتها الآن ؟ .

قلت : ليس لدي الان اية قوة، حتى ولا مصفحة واحدة.

فانتفض ، وقد استولت عليه الدهشة ، ثم لمع الغضب في عينيه وقال :

– لماذا ؟ الى أين ذهبت فرقتك ؟

قلت : ان الشعبة الرابعة في الاركان ارسلت امراً خطياً يقضي بارسال جميع سائقي المصفحات الى بيروت لاستلام المصفحات الجديدة التي وصلت من أوروبة ، ثم ان قائد اللواء الاول العقيد أديب الشيشكلي ، نقل اليوم سرية الدبابات من عندي الى مركز قيادته في قطنا ، فأصبح الفوج عاجزاً عن القيام بأية حركة .

فاحتدم الحناوي غيظاً ثم استبدعى المقدم خالد جادا وصاح به :

– ما هذا ؟ ماذا يجري في الجيش ؟ أسمعت ما قال الرئيس ابو منصور ؟

أجاب جادا :

– يا سيدي اللواء ، لا علم لي مطلقاً بما جرى ، وهذا

دليل قاطع على ان هناك مؤامرة مدبرة ، واني لأخشى ان يكون المتآمرون قد اعتزموا القيام بالانقلاب هذه الليلة .

كان وقع هذه الكلمات شديد الوطـأة على الحناوي ، فاستدعى ضباطه فوراً وعقد معهم اجتماعاً تقرر فيه الاتصال حالا بالاركان واعادة سواقي المصفحات والحؤول دون ذهابهم الى بيروت ، وارجاع سرية الدبابات من قطنا الى القابون .

وكان غضب المجتمعين رهيباً ينذر بالانفجار ، فاخـذوا يصيحون ان القضاء على المعارضين اصبح ضرورة ملحة حيوية لا يجوز فيها التريث والتسويف ، وانه لا بد من القيام بعمل حاسم – مهما كلف الامر – للتخلص من الشغب والمشاغبين، ولوضع حد فاصل نهائي للبلبلة والقلق والتشويش .

كان توتر الاعصاب قد بلغ ذروته لمـا امرني الحناوي بالذهاب تواً الى سرية النقـل لارجاع سواقي المصفحات ثم بالتوجه الى قطنا لاعادة سرية الدبابات ، قال :

– قـد يجوز ان يراوغ الشيشكلي محاولا الاحتفاظ بهذه السرية ، ولكن اياك ان تنصت اليه او ان تؤخذ بما قد يقوله لك من معسول الكلام ، لاني سأعطي الآن الاوامر المشددة في هذا الشأن ... فاذهب ولا تتأخر ولا تضيع دقيقـة واحدة من الوقت ، فالسرعة وحدها تضمن لنا القضاء على المؤامرة .

خرجت من بيت الحناوي ونفذت الشطر الاول من مهمتي ، اي اني ارجعت سائقي المصفحات وامرتهم بعـــدم الذهاب الى بيروت ، ثم توجهت الى قطنا ، وانا ما ازال في الثياب المدنية – وذهبت الى بيت العقيد الشيشكلي ، فوجدت عنده قائد الدرك العام السابق ، الزعيم المتقاعد عبد الغني القضماني . فلما رآني الشيشكلي استغرب مجيئي وبادرني قائلا :

– خير ان شاء الله ؟

قلت : ليس ورائي الا الخير .

وافهمته باشارة خفية اني سأتكلم بعد ذهاب القضماني .

انتظرت قليلا حتى انصرف الضيف ثم اخبرت الشيشكلي بكل مـــا جرى واطلعته على تأزم الحالة وخطورة الموقف ، فتم بيننا الاتفاق على تنبيه المعارضين حـــتى اذا استدعاهم الحناوي عمدوا الى طريقة ما لعدم الذهاب اليه .

واتفقنا كذلك على ان نرسل الى الحناوي واحداً فقط من المعارضين بحجة انه يريد البحث والتفاوض فنعلم بالنتيجة مدى استعداد الجبهة الحناوية للبطش ونتخذ التدابير التي يفرضهـــا الامر الواقع .

وقررنا في الوقت نفسه ان ننقذ « مندوبنا » فيما اذا اعتقله الحناوي وان نقوم فوراً بالانقلاب .

ورجعت الى دمشق فهيأت فرقتي واصدرت الاوامر اللازمة

ليكون الجنود على قدم الاستعداد للعمل حالا في كل لحظة .

وكنت قد اتفقت مع الشيشكلي على ان التقي به في تلك الليلة بالذات في نادي الضباط ، فتوجهت في الموعد المضروب الى النادي حيث رأيت الشيشكلي جالساً الى البار بين جمهرة من الضباط ، وهو مضطرب ثائر ، يجرع الخمر دون هوادة ويوجه ، بصوت عال ، الى الحناوي وانصاره اقسى الانتقادات واقذع الشتائم ، فما كاد يراني حتى سألني قائلاً دون اي تحفظ :

ـ هل انت على استعداد يا فضل ؟

فادركت انه في حال من السكر افقدته الرشاد ، فتجاهلت سؤاله كأني لم اسمع ، ثم دنوت منه فاخذته على حدة وقلت له :

ـ ما هذا ؟ هل عجزت عن ضبط اعصابك ؟ أتريد ان تفضح القضية لتدفعنا الى الاخفاق والخذلان ؟ اضبط لسانك، وكن حذراً كتوماً ... انا عائد الان الى الثكنة لابقى مع فرقتي فلا ابتعد عنها ، فاذا اردت مني شيئاً فاذهب الى هناك .

ثم تركته ومضيت الى الثكنة .

وفي اليوم التالي اخذ الحناوي ينفذ خطته فاستدعى الضباط المعارضين الى بيته إلا انهم لم يلبوا الدعوة ، بل ذهب

اليه اثنان فقط هما الشيشكلي والعقيد عزيز عبد الكريم ، وجرى البحث طويلاً حول ما جرى وما يجري وما يقال عن المؤامرة المدبرة لقلب النظام القائم ، فاستطاع الشيشكلي ورفيقه ان يهدئا من روع الحناوي ، وان يقنعاه بان المعارضين لا يفكرون مطلقاً باللجوء الى العنف لانهم من احرص الناس على سلامة البلاد وامنها ونظامها القائم .

قد يكون الحناوي اقتنع بالفعل ، او لم يقتنع بل تظاهر بالاقتناع ، ولكنه على كل حال ادرك ان خطته قد فشلت من جراء امتناع الضباط الذين استدعاهم عن تلبية دعوته ، فعدل عن القيام بحركة الاعتقالات معللا النفس باللجوء الى طريقة اخرى للقضاء على خصومه ما دام امامه متسع من الوقت .

وكانت تلك « الطريقة الأخرى » تقضي بنقل بعض المعارضين الى مراكز ثانوية لا أهمية لها وبتسريح بعضهم الاخر ، فلا يبقى في ايديهم شيء من القوة ، وبذلك يزول خطرهم نهائياً .

وفي اليوم التالي باشر الحناوي ، بالفعل ، تنفيذ خطته الثانية ، فأرسل في طلب العقيد محمود بنيان قائد قوى البادية ولما تمنع العقيد بنيان عن الحضور ارسل الحناوي شرطة الجيش تطارده وتحاول القبض عليه بالقوة .

وأحس بنيان بالخطر المحدق به ، فغادر دمشق وجاء الى ثكنتي في القابون واخبرني بما جرى فقلت له :

– لا بأس ، ابق عندي هنا !

ثم اتفقنا على ان يذهب ليلا الى « الضمير » حيث تعسكر سرية عشائر تدين له بالولاء ويتولى قيادتها الملازم فرحان الجرمقاني ، على ان يبقى هناك الى الصباح ، ثم يعود الى دمشق ويقابل الحناوي متجاهلا امر مطاردته .

قلت له: اذا سألك الحناوي عن سبب غيابك ، قل له انك ذهبت الى « الضمير » للتحقيق في اخبارية عن تهريب مخدرات ، لانك رأيت أنه من الضروري ان تقوم انت نفسك بهذا التحقيق !

وهكذا كان ، إلا أن الحناوي لم يصدق حكاية التهريب فامر بنيان بالسفر حالا الى اللاذقية للالتحاق بالقوات المعسكرة هناك .

ونفذ بنيان الامر فسافر الى اللاذقية .

وفي ذلك المساء جاءني الملازم حسين نخده ، أحد ضباط الفوج ، وقال لي ان اكرم الحوراني يريد ان يقابلني في بيتي وبحضور العقيد امين ابو عساف ، في الساعة الثالثة عشرة ليلا فوافقت على هذا الموعد .

وفي الوقت المعين تماماً جاء الحوراني واخذ يتكلم عن

خطورة الموقف وتفاقم الحالة ، ثم وجه كلامه اليّ والى امين أبو عساف قائلا : انتم الان وحدكم مسؤولون عن انقاذ البلاد وعن وضع حد لهذا التدهور . ان ماضيكم يشهد لكم بذلك ، وعلى التاريخ ان يسجل مآثركم وأن يقدر جهودكم ... ان مصير هذا البلد امانة في اعناقكم ، فاذا تلكأتم واحجمتم بضعة أيام عن القيام بعمل حاسم فاتتكم الفرصة ، وسبقكم الزمان ودخل الجيش المستعمر أرض سوريا وراء ستار من جيش العراق ، وعاد هذا الوطن الى الرزوح تحت نير العبودية والذل .

قلت له :

— كن مطمئناً ، يا اكرم بك ، فنحن لا نعمل إلا بوحي ضميرنا وقوميتنا، ولا نتحرك إلا لخدمة بلادنا وصيانة سلامتها وسيادتها واستقلالها ... اننا في هذا السبيل مستعدون لبذل دمائنا ، وليس في العالم قوة تستطيع ان تحول دون قيامنا بالواجب . نحن هنا متأهبون لحماية سوريا مهما كان الثمن .

قال : بارك الله فيكم .

وقد شاع الارتياح التام في عينيه وقسمات وجهه ، وبكى ثم انصرف عائداً الى دمشق .

واخذت الازمة تشتد يوماً بعد يوم ، واصبح المعارضون في موقف حرج من جراء اوامر النقل والتسريح التي اخذت تصدر تباعاً بحقهم ، عملا بالخطة المرسومة .



اديب الشيشكلي



وفي تلك الاثناء جاءني العقيد الشيشكلي الى القابون متخفياً عن طريق حارة الاكراد فدرسنا الموقف واخذنا نضع خطة العمل .

وبعد قليل اتاني امر بالذهاب حالا الى الاركان العامة ، ولما دخلت مكتب الحناوي رأيت عنده انور بنود وخالد جادا ومحمد معروف ، فسألوني ، دون مقدمات ، عن سبب ذهاب الشيشكلي الى القابون ...

ادركت عندئذ ان الشيشكلي لم يحسن التخفي ، وان المراقبين اكتشفوه واحصوا حركاته وسكناته ونقلوا اخباره الى الاركان ، فقلت :

— « انا شخصياً ما رأيت للشيشكلي وجهاً ، ولكن احد رجال الحرس اخبرني ان العقيد اديباً مر من هناك وسأل عن العقيد امين ابو عساف ثم قفل راجعاً من حيث أتى .

لزم الحناوي الصمت وهو مطرق ، فايقنت انه يشك بصحة ما اقول ، ثم رفع رأسه وقال :

— حسناً ... لا خفي إلا سيظهر ..

وتوقف البحث عند هذا الحد ، فرجعت الى ثكنتي .

قبل ذلك الحادث بيوم واحد كنت قد ذهبت مع الزعيم انور بنود والعقيد عمر خان تمر ، قائد لواء حلب الذي كان يومذاك في الشام ، الى القابون ، ولما تبادلنا الآراء حول الحالة

الراهنة وافق الاثنان على ضرورة القيام بانقلاب تخلصاً من الشذوذ السائد الذي لم يعد يطاق ، وكان بنود شديد الحماسة ظاهر النقمة فابدى استياءه قائلا :

— ان تصرفات خالد جادا كلها تحدٍ واستفزاز وخروج على النظام المألوف، فهو يعمل ما يشاء ، كيفما يشاء، دون ان يعلمني بشيء مـــع اني انا معاون اللواء رئيس الاركان وهو — اي جادا — ليس إلا مرافقاً .

من المرجح ان العيون والارصاد التي بثها الحناوي في كل مكان كانت تنقل اليه الاخبار وتزوده بالمعلومات عن كل مـــا يجري ، لذلك احسست بالموسى تصل الى ذقني لان الحناوي ارسل الى ثكنتي في القابون العقيد حمد الاطرش ، وهو من انصاره ، والمقدم صبحي عباره ، وما كاد الرجلان يرياني حتى بلغني العقيد الاطرش امر الحناوي القاضي بتسليم قيـــادة المدرعات للمقدم عباره وقال :

— ستصل اليك برقية رسمية بهذا الشأن .

وبعد قليل وصلت البرقية ، ثم انصرف حمد الاطرش وبقي المقدم عبارة معي فتوجهنا الى المكتب حيث طلب المقدم جمع الضباط فلبيت طلبه دون تردد ، فاخذ يلقي علينا محاضرة في الوطنية والاخلاص وينتقد اعمال اديب الشيشكلي وجماعته، ثم وجه الي الكلام قائلا :

– غداً صباحاً في الساعة السادسة اريد ان ارى الفوج مجتمعاً بكامل معداته ومصفحاته في ساحة الثكنة ، مع جدول التفقد والتعداد .

وكنت قد اوعزت الى الضباط بلزوم الصمت وبعدم الدخول في اية مناقشة ، فحسب المقدم عباره ذلك السكوت اذعاناً له وخضوعاً لمشيئته فذهب مطمئناً واعداً بان يعود بعد الظهر.

ما كاد يبتعد عن الثكنة حتى عقدت مع الضباط اجتماعاً قررنا فيه القيام بالانقلاب دون ابطاء ، في تلك الليلة نفسها مهما كلف الامر . على ان نشعر العقيد الشيشكلي بذلك .
ولما اتصلنا بالشيشكلي واطلعناه على عزمنا اجاب :

– اياكم ان تقدموا على اي عمل ، لان محاولتكم ستمنى بالفشل الذريع ، فالحركة الانقلابية قد اخفقت لانها غدت مكشوفة ، وقد استنفر الحناوي الجيش واتخذ كل الاحتياطات والتدابير لاحباط كل محاولة .
هذا هو الجواب الذي ارسله الشيشكلي اليّ شخصياً ، بواسطة الرئيس خطار حمزه ، فقلت لخطار :

– عد الى قطنا حالاً وقل للعقيد اديب اني مصمم على القيام بالانقلاب في هذه الليلة مهما كلف الامر ، واني اود ان يكون هنا في الساعة الحادية عشرة ليلا .
وفي تلك الساعة وصل الشيشكلي الى ثكنتي في القابون

يرافقه العقيد امين ابو عساف، فعقدنا في بيتي اجتماعاً قررنا فيه بالاجماع ما كنت قد عزمت على تنفيذه ، واقسمنا اليمين ، نحن ضباط فوج المدرعات دون سوانا ، على القيام بالعمل الذي انتدبنا له نفوسنا .

وبعد مرور ساعة ، اي في الساعة الثانية عشرة ، وصل المقدم عباره والمقدم خالد جادا ومعهما سيارة كبيرة ملأى برجال الشرطة العسكرية ، فجرت بينهما وبين رجال الحرس مشادة عنيفة .

قال المقدم عباره :

– انا المقدم عباره قائد هذا الفوج منذ صباح اليوم .

وصاح رفيقه :

– وانا المقدم خالد جادا مرافق اللواء سامي الحناوي رئيس الاركان العامة .

فأجاب رئيس الحرس ..

– وانا رئيس حرس هذا الفوج ، ولديّ امر من قائدنا الرئيس فضل الله ابو منصور بمنع اي كان من دخول الثكنة ليلا إلا باذن خاص .

وأرسل رئيس الحرس اليّ جندياً يخبرني بما جرى، فجئت حالا الى مدخل الثكنة ، تاركاً الشيشكلي وأبو عساف

علي الباشي

والضباط في بيتي ، وما إن وقعت عليّ عين المقدم عباره حتى صاح بغضب :

– ما هذه الأوامر ، يا ابو منصور ؟

قلت : هذه أوامر عسكرية ، يجب أن يحترمها الجميع .. اضف الى ذلك اننا مستنفرون ..

وانتهى الجدل عند هذا الحد فتوجهنا الى المكتب حيث سألني عن الضباط الذين طلب دعوتهم لعقد اجتماع فأجبته ان كل ضابط مقيم في مركزه ، مع جنوده ، وسألته :

– اتريد ان ادعوهم لتلقي عليهم كلمة ؟

قال : لا ، دعهم في مراكزهم .

وبعد قليل وصل الملازم مصطفى الدواليبي والملازم حسين حده ، ودار الحديث حول الوضع الراهن واعمال العقداء من معارضين وموالين فقال المقدم عبارة :

– ان الفئة التي يضللها الشيشكلي تحاول تنفيذ سياسة الملك ابن سعود للقضاء على النفوذ الهاشمي في الاردن والعراق وابن سعود يمد انصار سياسته بالمال .

حوالي الساعة الرابعة عشرة ، انصرف المقدم جادا مع الشرطة العسكرية ، وبقي المقدم عبارة ، فقال :

– يجب ان ابقى هنا حتى الصباح .. أعطوني بطانيه ، ودعوني انام على هذا المقعد .

دعوته الى النوم في احدى الغرف ، فرفض ، فتركته مع بطانيته ومقعدهوعدت الى بيتي حيث كان ينتظرني الشيشكلي وأبو عساف ، فعقدنا اجتماعاً قررنا فيه اعتقال المقدم عباره ، وعلى الفور ذهبت مع كل من الملازم مصطفى دواليبي ،والملازم حسين حسده ، والملازم بكري الزُبري الى حيث كان المقدم عبـــاره يغط في نوم عميق . ولما ايقظناه ورأى المسدسات مصوبة الى رأسه اخذ يتمتم ، وقد استولى عليه الذعر :

دخيلـكم !... ماذا جرى ؟ ماذا تريدون مني ؟

قلت له :

– اصمت ، وأمشِ معنا دون ان تتفوّه بكلمة .

وجئت بــه الى بيتي حيث كان الشيشكلي وابو عساف ورهط من الضباط ، فتكلم الشيشكلي موجهــاً الكلام الى عباره وقال له :

ـ انت ، يا صبحي ، لا دخل لك في مــا يجري ، ليس لنا عليك أي مأخذ . واذ كنا قد اعتقلناك فليس ذلـك الا على سبيل الاحتيـــاط . لذلك ستظل معتقلا الى غدٍ ، حتى نكون قد فرغنا من عملنا . وبعدئذ سننظر في امرك .

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحاً ، فمــا كدنا نبدأ البحث في خطة العمل حتى ابدى الشيشكلي وجهـــة نظره فقال :

– يجب ان نعمل في ضوء النهار ، وأن نبدأ هجومنا ظهر غد !

قلت : لا بد من الهجوم في هذا الليل ، قبل بزوغ الفجر.

قال : قد نصطدم بجماعة متأهبة ، فنضطر ان نقاتل ، والقتال في الظلام صعب ، محفوف بالخطر ، يختلط فيه الحابل بالنابل ، ولا يُعرف الصديق من العدو !.. أفي مثل هذه الظروف تريدنا ان نخوض المعركة يا فضل ؟

قلت : الجنود مستنفرون ، وقد سهروا طوال الليل ، فاذا اطل عليهم الصباح راودهم النعاس وتراخت عزائمهم ، فينزلون الى المعركة بعد أن يكونوا قد خسروا قسماً كبيراً من زخمهم ونشاطهم !

قال : هذا غير ممكن ... لا يجوز القتال ليلا .

قلت : بل لا يجوز العمل، ولا يمكن القيام بحركة حاسمة الا في هذا الليل .

فاستشاط غيظاً واخذ يصيح :

– ما هذه المعاكسة ؟ دعونا نتصرف على ضوء العقل والمنطق ... لا سبيل الآن الى العناد ، فالموقف حرج يتطلب منا كل ما اوتينا من الحكمة والحزم والحذر !

فأجبته بمثل لهجته ، وقد تملكتني ثورة الغضب :

– يجب ان نهجم فوراً وإلا فاتتنا الفرصة وقُضي علينا.. اذا أبيتم إلا ان تتريثوا فاني سأزحف وحدي ، وليكن بعدئذ ما يكون .

فلزم الشيشكلي الصمت ، وقد عاد اليه الهدوء ، ثم تفاهمنا على المهات المفروضة على كلٍّ منا ، وخرجنا من المعسكر في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، فبقي الشيشكلي في بيتي ، على رأس سريتين من الاحتياطي ، وفي نطاق من الحراسة القوية .

زحفنا الى دمشق تنفيذاً للخطة التالية :

– نصف سرية دبابات بقيادة الرئيس حسني زعينه والملازم حسين حده في الطليعة .

– ثلاث مصفحات بقيادة الملازم مصطفى دواليبي والملازم غالب شققة لاعتقال سامي الحناوي واحتلال بيته .

– الملازم الاول ألكسي شبيعة مع ضابطين لاحتلال مركز الشرطة المدنية .

– انا والملازم بكري الزُبَري مع عشر مصفحات وست دبابات لاحتلال مركز الشرطة العسكرية ومركز الاذاعة .

وقد قمت بهذه المهمة فوراً وبسرعة ، ثم انصرفت الى المحافظة على الامن واعتقال الذين تقرر اعتقالهم وهم : مريود ،

جادا ، معروف ، قواص ، وكثيرون غيرهم .

هذه العمليات قد تمت كلها بكل دقة في نصف ساعة من الزمان ، اي ان الانقلاب الثاني قد تم في تمام الساعة السادسة صباحاً .

لقينا بعض المقاومة في مركز الشرطة العسكرية ، فسقط ثلاثة قتلى وبعض الجرحى ، ثم انتهى كل شيء واصبح زمام الامر في يدي وحدي .

وكنا قد هيأنا البلاغ الاول ، فأرسلناه من مركز الاذاعة بامضاء المقدم امين ابو عساف ، لان الشيشكلي كان ينتظر النتيجة في بيتي ، بالقابون .

وفي ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ جرى تشكيل المجلس الحربي الاعلى للانقلاب الثاني حسب القرار رقم ١ الصادر عن الشعبة الثالثة للاركان العامة ، تحت رقم ١٣٢٩ / ٣٠٢ موقعاً من الزعيم فوزي سلو رئيساً ، والزعيم انور بنود نائب رئيس ، والعقيد اديب الشيشكلي ، والعقيد عزيز عبد الكريم ، والعقيد محمود بنيان ، والعقيد امين ابو عساف ، والعقيد توفيق نظام الدين ، والعقيد شوكت شقير ، والمقدم علاء الدين ستاسيس ، والرئيس فضل الله ابو منصور اعضاء ، والرئيس حسين الحكيم مقرراً .

باشر ذلك المجلس مزاولة عمله فوراً ، فاخذ يعقد اجتماعاته

كل يوم لتشكيل الوزارة ودرس القضايا المهمة الناجمة عن الوضع الراهن .

وتألفت الوزارة الأولى برئاسة خالد العظم ، فاحست البلاد بالاستقرار والارتياح ، واخذ العهد الجديد يكتسب شعبية كبيرة في جميع الاوساط ، وظلت حاله هكذا ، في تقدم ونجاح مستمرين طوال تسعة اشهر .

في نهاية هذه الفترة بدأ موقف الشيشكلي يتغير ، وبدأ المطلعون يتبينون ان له نيات خفية بعيدة كل البعد عما كان يبدي من مظاهر الغيرة على المصلحة العامة وسلامة الوطن .

ظهور حقيقة الشيشكلي

كانت غايتنا من الانقلاب الثالث انقـاذ البلاد من البلبلة والفوضى ووضع مقاليد الحـكم بعدئـــذ في ايدي المخلصين الأمناء من رجالات البلاد المعروفين بولائهم القومي ، وصدقهم واستقامتهم ، فينسحب الجيش نهائياً من ميدان السياســة ، وتعود الأمور الى مجاريها الطبيعية .

هـكذا كان اتفاقنا مع الشيشكلي ، إلا أنه اصرّ على ان تبقى دفة السياسة في يده ، واخذ يتستر بالواجهات المرتجلة ليعمل من وراء الكواليس . جعل فوزي سلو ستاراً واخذ يحـكم من ورائه ، حتى انه احتجزه ذات يوم في خيمة نصبها له في بلودان ... ومع ذلك ظل « المصطاف المحجوز » حاكم الشام في نظر العالم ، وان يكن بالحقيقة اداة طيّعة لا حول لها ولا طول .

واخذ طموح الشيشكلي يتضح شيئاً فشيئـــاً ، كما اخذ غروره يظهر لكل عين ، ولا سيما لمـا اخذ يتخلص تدريجياً

من الذين تعاونوا معه . وكان اسلوب تخلصه يـدل على انه ينتهج خطة بارعة وضعها بكل عناية ، وشرع ينفذها بدقة .

وكنت انا اول من تخلص منهم .

كنت آنذاك آمر فوج المدرعات الاول ، فنقلني الى حلب. ارسل امره بالنقل تلغرافياً ومستعجلا ، فجعلني آمر فوج المدرعات الثاني في عاصمة الشمال . وقد جرى ذلك فجأة ، وأُعطيت مهلة خمس دقائق للتنفيذ فوراً .

ولكني جمعت الفوج لاودعه . وكان لدي عشرة ضباط المان ، اختصاصيين بسلاح المدرعات ، ومهمتهم تدريب بعض الضباط السوريين ، فاجتمعوا وقالوا لي انهم يحتجون على نقلي ويطالبون ببقائي ، فافهمتهم ان هذا الامر لا يعنيهم ، وان الواجب يقضي عليّ بتنفيـذ الاوامر الصادرة عن رؤسائي ، فقال لي كبيرهم :

— « ارجو ان تثق باني احترمك لانك اول من يأتي الى الاجتماع كل يوم وآخر من يذهب» .

وهو يعني الاجتماع الذي كنا نعقده كل صبـاح للبدء في اعمال التدريب .

واحتج المجلس الحربي على هذا التدبير الخاطف ، ولكن الشيشكلي أصم اذنيه ولم يشأ ان يسمع ذلك الاحتجاج ، لانه اعتقد انه قد ثبّت قدميه ، ورسخ عهده ، فاصبح قادراً على

فرض مشيئته دون ان يحسب حساباً لاحد .

ارتكب اديب الشيشكلي في ذلك الحين ، الخطأ الأول والاساسي الذيأدى الى انهيار عهده . فذلك العهد لم يزدهر، ولم يشتد ساعده ، ولم يستقر ، إلا لان الشيشكلي تعاون مع فوزي سلو ونخبة مرموقة من الضباط المخلصين وبعض الاحزاب . فان هذا التكاتف بين القوى السليمة والامكانات الخيرة في البلاد ، جعل من الجهاز الحاكم كتلة صامدة ،تغلبت على جميع المحاولات التي بذلها الاجانب من انكليز واميركان وروس وفرنسيين لتركيز نفوذهم في سوريا . لقد اخفقت تلك المحاولات وكان مصيرها الخذلان لان التعاون بين العناصر الطيبة في الامة اوجد جبهة مقاومة متراصة ، متينة لا تلين ، ولا تنطلي عليها حيل الاستعمار .

قلت أن الشيشكلي قد انحرف عن تلك الخطة الحكيمة ، وأخذ يتخلص من الذين تعاونوا معه ليصبح ديكتاتوراً ، وليقبض على السلطتين : التشريعية والتنفيذية ، وليفرض نفسه على البلاد بالقوة القاهرة . ولكي يبلغ هذا الهدف ، أقدم على حل الاحزاب السياسية ، وانشأ حزباً جديداً يدين له بالولاء والعبودية سماه « حزب التحرير العربي » وأخذ يجول في البلاد داعياً لحزبه ، وللانضواء تحت لوائه، مذيعاً في الراديو كل صباح ومساء هتافات الجماهير ، وزغردات النساء، وصياح الغلمان في مهرجانات مرتجلة يهلل فيها اصحابها للحزب الجديد.

انتقل من دمشق الى حمص ، الى حماه ، الى حلب ، الى اللاذقيه ... وكان سلاحه اذاعات تزعق في الساحات والشوارع والاسواق ، ومكبرات صوت تفيض على الحزب الجديد بالثناء والاطراء ، ودرر الخطباء المتزلفين ، وقلائد الشعراء الانتهازيين : شعراء سوق النخاسة وخطبائها الذين لا يخدعون نفوسهم بقدر ما يخدعون من يرضى بمؤازرتهم ، ويقبل بترهاتهم ، ويستكين الى حزعبلاتهم ..

ولم يكتف الشيشكلي بتلك المهزلة الكبرى تغرق البلاد في خضم من الشعوذة والدجل والنفاق ، بل أراد أن يُرعب النـاس ، وأن يقضي على كل ما فيهم من امكانات المقاومة ، وأن يسحقهم بالارهاب ، فأخذ ينشىء السجون والمعتقلات.. وهكذا كان سجن « الشيخ حسن » الذي زُج فيه السياسيون والعسكريون الذين ابوا أن يؤدوا فروض الطاعة والعبودية لسيد العهد الجديد .

وكثرت السجون الجديدة في العاصمة والمحافظات ، حتى أن الثكنات العسكرية اصبحت سجوناً ، فسيطر الرعب ، وساد الارهاب بصورة لم يعرف لها مثيل إلا في عصر محاكم التفتيش وكان سلاح الحاكم المستبد ضغطاً وتنكيلا ومحاولات مكيافيلية لتشويه السمعات وتلويث الكرامات .

ورأى الشيشكلي أن جبل الدروز قلعة قد تتمرد على

طغيانه ، فصمم على ضربه وتدميره لاضعافه .

لهذه الغاية حشد حملة قوامها عشرة آلاف مقاتل مزودين بأحدث الاسلحة الآلية السريعة ، يساندها سلاح الجو ، وأمر باعتقال سلطان الاطرش وغيره من زعماء الجبل .

وكان قبل الاقدام على هذه الخطوة الخطيرة قد مهّد لها بحيلة بارعة ، ولكنها مفضوحة ، اذ جعل شوكت شقير الدرزي مطلعاً على كل شيء وشبه مسؤول عن مجرى الحوادث.. وقد رضي شقير ان يقوم بهذا الدور الذي لا يدعو الى الفخر والاعتزاز ، ثم صدرت الاوامر بضرب الجبل دون رحمة او شفقة او هوادة !..

وكانت هذه الاوامر تقضي بذبح الشيوخ والاطفال والنساء وبقر بطون الحبالى بالحراب !

ولا بد لي هنا ، على سبيل المثال، من ذكر امرأة ابن قاضي المذهب الشيخ احمد جربوع . كانت حبلى ، فانقض عليها زبانية الشيشكلي وبقروا بطنها بحرابهم، وقطعوا يديها لينتزعوا الاساور من معصميها ، وشوكت شقير يعلم ولا يقول كلمة .

هذه الضراوة الوحشية التي لم يقدم على الولوغ فيها غير الصهاينة، احدثت انتفاضة استياء ونقمة وغضب في جميع انحاء البلاد ، وكنت انا احد المستائين الناقمين في حلب .

وقد اتيحت لي فرصة للاعراب عن شعوري الثائر يوم

كنت عضواً في المجلس الحربي الاعلى ، فقد شكل الشيشكلي ، في ليلة ليلاء ، وزارة من حزب الشعب ، على هواه ، وحسب مشيئته ، دون اتخاذ اي قرار في المجلس ، ودون الرجوع الى اية مناقشة سابقة .

هالني ذلك الاستهتار بالصلاحيات والمسؤوليات ، بل اثارني ذلك التجاوز المفضوح على دعائم الدولة ومقوماتها ، فاتصلت باثنين من اعضاء المجلس وهما العقيد عزيز عبدالكريم ، والعقيد محمود بنيان ، وطلبت اليهما الاشتراك معي في دعوة المجلس الى عقد جلسة للبحث والمناقشة ومعرفة الأسباب التي دعت الشيشكلي الى تشكيل الوزارة دون الوقوف على رأينا ، ودون الحصول على موافقتنا .

وما كاد الشيشكلي يعلم ذلك حتى غضب عليّ غضباً شديداً ، فأصدر أمره بنقلي وابعادي فوراً الى اقصى منطقة في الجمهورية السورية ... مع العلم اني كنت عضواً في المجلس الحربي الاعلى ، ولم يكن قد صدر اي قرار سابق يقضي باقالتي من تلك العضوية .

ان في ذلك التدبير الاعتباطي الغريب لدليلا فاضحاً على مدى الاستهتار الذي انتهى اليه الشيشكلي لما تملكه جنون العظمة ودوّخته خمرة الصولة والسلطان.

ولقد هالني طوال مدة اقامتي في دمشق وعضويتي في

المجلس الحربي الأعلى مدى السعايات الناشطة ، والمحاولات المبذولة من قبل الاجانب للتدخل في شؤون البلاد . فقد جرت بيني وبين بعض الاحزاب المحلية اتصالات عديدة غايتها تجريد الشيشكلي من معاونيه ، تمهيداً للقضاء عليه وعلى عهده .

فالامير فوّاز الشعلان ، مثلاً ، كان في دمشق شبه سفير للمملكة العربية السعودية ، يتكلم بلسانها ، ويعبّر عن ارادتها ، ويوزع وعودها ونضارها ... — واخته هي احدى عقيلات الملك عبد العزيز بن سعود — وقد اخذ يتصل بي كل يوم تقريباً ، ويتودد اليّ لاكتساب ثقتي وصداقتي . فظل طوال شهر او اكثر يدعوني الى اماكن اللهو والشراب وينفق عليّ الوف الليرات دون حساب ، وبسخاء عجيب لا يقف عند حد !

ولم يكن الشيشكلي قد حسر اللثام بعد عن حقيقته وانغمس في الطغيان ، فاخبرته بـ «كرم» الامير ، وافهمته ان هذا البذل ليس لوجه الله ، انما وراءه غاية ، قد يسعى اليها اصحابها عن طرق اخرى غير طريقي انا ... ودعوته الى الحذر ، والى اتخاذ الاحتياطات اللازمة ، فقال لي :

— حسناً ، تابع «مشوارك» معه لنرى الى اين يريد !

واخذت علاقتي بالامير فواز تتوثق يوماً بعد يوم ، اذ

كنت اتخذ جميع المظاهر التي توهمه بأني غدوت له من اصدق الاصدقاء واقرب الخـلاّن . وذات ليلة ، بعد سهرة عارمة بالوسكي وطيبات الطعام والكلام ، دعاني الى بيته واخذ يحدثني عن « طويل العمر »[1] فقال : « مولانا الملك يحب الشام والله ، ولا يريدلهذا الشعب الكريم إلا الخير والازدهار، ويؤلمه جداً ان تكون الطريق التي يسير عليها المسؤولون هنا لا تؤدي الى الخير ، ولا الى الازدهار !... »

ولما لزمت الصمت ، حسب سكوتي موافقة مني على ما يقول ، فقام الى صندوقه الحديدي واخرج منه اربعة اكياس من الذهب بحجم كيس الخردق الكبير ، ووثائق تمليك سيارة كاديلك وقال : « هذه لك ... هدية من مولانا ، لانك رجل طيب ... اي والله طيب ! »

وتطرّق بعدئـــذ الى الاحوال السياسية ، فتحدث عن الموقف والانقلابات حتى قال : « ولماذا لا تقوم انت بانقلاب جديد ينقذ سوريا من هذه الاحوال المؤسفة ؟ »

قلت : والله ، لا بد من القيام بهذا العمل ، فاني من الذين يشعرون بضرورته .

قال : أقدم ، ولا تخف ، واطلب ما تشاء ، فنحن هنا !

---

(١) لقب عرف به الملك عبد العزيز بن سعود .

قلت : مهما يكن الامر ، دعني افكر أسبوعاً لأدرس الاوضاع وأساليب العمل .

وكأني به احس بما كان يجول في نفسي ، فغير الحديث وانتقل الى المداعبة وأخبار اللهو . ولما هممت بالذهاب، أشار الى اكياس الذهب وأوراق الكاديلك قائلا : « لا تنس الهدية » قلت : « دع عنك هذا !.. فصداقتنا أمتن من أن تحتاج الى مثل هذا الغذاء ، وقضيتنا لا تفتقر الى المال اليوم ، فلندع كل امر لحينه ، وليعد هذا الذهب الى صندوقه حتى نرى ما سيكون ! » .

وأخبرت الشيشكلي بما جرى ، فما فهم من كلامي إلا أنني أمنّ عليه برفضي المال والسيارة ، فقال :

— اذا كنت تريد مالا ، فعندنا منه كثير !..

ولم اشأ أن اتمادى معه ، لاني بدأت أحس انه غير مستعد أن يفهم ، إلا اني اخذت ابتعد شيئاً فشيئاً عن الامير فوّاز حتى انقطعت علاقتنا، وكنت اعلم ان وراء المحاولات السعودية ، ارادة اميركية .

وبعد الامير فوّاز الشعلان اتصل بي الامير فاعور الفاعور وكان صديقاً للاردن، فكان يزورني سراً ويقول لي : « اكتب على ورقة شروطك والمبلغ الذي تريده من المال ، فاضعه فوراً بين يديك .

... واخبرت الشيشكلي فلم يكترث !

امـا الامير حسن الاطرش فكان ينتهج السياسة العراقية، فجاء يقول لي : « سأجعل راتبك مضاعفاً مدى الحياة، ولك فوق ذلك أن تسأل الضباط عما يريدون ، وانا مستعد ان ألبي فوراً ... وان أعطيك ضمانة من الملك والوصي — وهو يعني ملك العراق والامير عبد الاله — » فقلت له :

ـ هذا لا يجوز الآن ... دع الأمور تجري !

وفي ذلك المعترك من المحاولات الغنية بالدرس والمساومـة والاغراء لم تقف مصر مكتوفة الايدي ..

كان شكري القوتلي في مصر ، وكان له في سوريا صديق هو يوسف باشا الاطرش ، ابن عبد الغفار بـاشا الاطرش ، فأرسل القوتلي في طلبه ، فذهب يوسف الى مصر ثم عـاد واتصل بي فقال :

— اذا وافقت على القيـام بانقلاب لاسقاط الشيشكلي واعادة القوتلي الى الحكم فأنا مستعد ان اقدم لك كل ما تريد من المساعدات ، من اي نوع كانت ...

ودفع سلفة على الحساب قدرها ١٥٠ الف ليرة سورية ، فرفضت المال واكتفيت باتخاذ موقف المراقب ، ولم اخـبر الشيشكلي بهذه المحاولة الاخيرة .

وعلم يوسف انه لا يستطيع ان ينتظر مني اية مساعدة ، فلجأ الى الرئيس خطّار حمزه الذي اخذ المبلغ المذكور وادار لرسول القوتلي ظهره .

وخطار نفسه قال لي : « اخذت المال ، وانتفعت بـه ، ولم يجرؤ يوسف على اذاعة الخبر ، او على المطالبة بشيء !

وقبل جميع هـذه المحاولات ، بل قبل عهد الشيشكلي نفسه ، كانت المحاولات الاجنبية ناشطة في الشام من وراء بعض رجال السياسة وبعض الدول العربية . ففي عهد سامي الحناوي ، مثـلا ، دعاني الامير حسن الاطرش الى اوتيل بالاس ، في دمشق ، بواسطة سلمان حمزه المعروف بولائـه لصبري العسلي . وكان الامير حسن يعمل بالاتفاق مع خالد العظم الذي يكمن وراءه الفرنسيون .

لمـا وصلت الى اوتيل بالاس دخلت الى احدى الغرف حيث كان ينتظرني الامير حسن . جلست على السرير ، وجلس سلمان حمزه بالقرب مني ، واخذ الامير يتمشى ذهاباً واياباً ويتكلم، فعرض عليّ مليون ليرة سورية للقيام بانقلاب، عرفت انه لمصلحة فرنسا ، فقلت :

— أمازح انت ، يا معالي الامير ؟ (وكان آنذاك وزير الزراعة) فبدا الاستياء في ملامح وجهه ، واجاب بنزق :

ـ ما معنى هذا السؤال ؟هل من مجال للمزاح في ما أقول؟

قلت : ان ما تقترحه مستحيل . لا يمكن القيام باي عمل ذي صبغة غير قومية .

قال : فكـّر ملياً في الامر ، فقد تكون على خطأ فتندم بعد فوات الفرصة .

قلت : انك تعرض عليّ امراً افضـّل عليه الموت .

واليوم ، اذ استعرض تلك الحوادث من بعيـــد ، ارى بوضوح ان ولائي لعهد الشيشكلي وامانتي على صيانته كانت من العوامل الـــتي ابعدتني عن الشيشكلي وجعلته يفكر باقصائي والتخلص مني والقضاء عليّ .

فلما صمم الشيشكلي على انتهـــاج سبيل الديكتاتورية والطغيان ، اراد ان يحيط نفسه بالاتباع الصاغرين والاذناب المتزلفين ، والعملاء المنتفعين ، لا بالاعوان الاوفياء ، وتلك هي خطة كل حاكم يريد ان يجمع في قبضته السلطات ليتفرّد بالحـكم ويستبد وحده بمقدرات البلاد والعباد .

وفي اثناء اقامتي في حلب لاحظت ان المكتب الثاني يقيم حولي مراقبة شديدة ، ويحصي عليّ حركاتي وسكناتي ، إلا انني لم أكن كبير الاكتراث بذلك ، لانني كنت قد ايقنت بان الشيشكلي قضى على عهده بيده ! ..

يبـــدو من تلك الحوادث ان عزم الشيشكلي على تحطيمي نهائياً لم يتبدل . فلما عقدت الجامعة العربية اجتماعها في دمشق تلقيت امراً برقياً مستعجلا يقضي بنقلي من فوج المدرعــات الى قيادة سرية الخدمات في موقع حلب ، فكان ذلك التدبير تحدياً سافراً من قبل الشيشكلي، ومحاولة مفضوحة للحط من كرامتي فما كدت اتبلغه في ٢٧ نيسان ١٩٥١ ، حتى أجبت عليـــه فوراً بتقديم استقالتي من الجيش، فرفض طلبي وأعيدت الاستقالة مشفوعة بعدم الموافقة ، وباقتراح تقديمها مرة ثانية بعد شهر اذا لمست في نفسي اصراراً على التخلص من الخدمة .

بعد ذلك الرفض بقليـــل استدعاني الشيشكلي الى دمشق بطريقة شخصية وغير رسمية فأعربت عن رغبتي في عدم تلبية تلك الدعوة ، لاني لم اكن أتوقع منها اي خير ولكن المقدم بكري قطرش ، مدير الشرطة والأمن العام في حلب ، ظل بي حتى اقنعني بوجوب الذهاب الى دمشق ، فذهبنـــا معاً ورافقنا العقيد محمود بنيّان .

ما كاد الشيشكلي يراني حتى بادرني قائلا :

ـ لا تزعل يا فضل ! فوالله اني أحبك وأقدرك كما كنت من قبـــل ، ومقامك في نفسي لم يتبدل ! ولكن الظروف القاهرة اكرهتني على اتخاذ قرار بنقلك خوفاً من وقوع حوادث قد تكون عواقبها وخيمة ... اني والله ما اردت الا انقاذك

مما قد يجري ، وابعادك عن المشكلات والمآزق التي قد يخلقها بعض الضباط الموالين لعهد حسني الزعيم . فهم يتظاهرون بالاذعـــان ويضمرون الشر ، ولا اريد ان تكون في مركز يمكنهم من توريطك في ما لا نحب .

قلت : مهما يكن الامر ، اود ان اعلم مـــا هي هذه « الظروف القاهرة » لاحتاط لها ، ولاجتنب « الحوادث » التي تخشاها ... ثم ، أود أن افهم مـــا هي الاخطاء التي ارتكبتها ليتخذ بحقي مثل التدبير الاخير !

قال : تؤكد تقارير المكتب الثاني انك تنوي القيـــام بانقلاب جديد ، وانك كنت قد قررت تنفيذ خطتك في اثناء اجتماع الجامعة العربية في دمشق !..

قلت : اني استغرب هذا التلفيق ، واطـالب بفتح تحقيق حتى تتضح الأمور وتنجلي الحقيقة ، فاذا ثبت اني أدبر مؤامرة على الوضع القـائم ، فهذه خيانة ُعظمى لا يجوز ان أُعاَقب عليها بنقلي من قيادة المدرعات الى قيادة الخدمات . بل ينبغي ان أُقدم الى المحاكمة وأُدان ، وان تحل بي العقوبة التي تستحقها جريمتي !..

قال : لا تعظّـم الامور ، فـلولا الضرورة ، لولا مصلحة الجيش ومصلحتك انت بالذات لما صدر الامر بنقلك !

قلت: هل افهم من ذلك اني قد اصبحت عالة على الجيش؟

اني ، والحالة هـــذه ، ألتمس تسريحي ، او اعتقالي ، او محاكمتي .

قال : لا أريد ان اسمع منك هذا القول . عد الآن الى حلب وانتظرني ، فسأذهب الى هناك بعد اسبوع ، فنجتمع طويـلا ، ونتحدث ، ونعقد الصلح ، ونشرب كأس عرق حتى يتم التفاهم بيننا على كل شيء .

قلت : دعـني أصارحك القول باني اعرف من هم الذين يبذلون الجهود ليبعدوني عنك ... لقـد اتفقوا على تحطيمي للانتقام مني . سمعتهم باذني ، وفي مناسبات كثيرة ، يبوحون بما في صدورهم ، وسبب حقدهم ونقمتهم انهم كانوا من المقربين الى حسني الزعيم ... هؤلاء هم الذين جمعتهم حولك ، واخذت تصغي الى اقاويلهم وتلفيقهم ، وتعتمدهم في الشؤون الكبيرة والصغيرة ، حتى أصبحوا السادة المتحكمين ، وغدوا من ذوي القوة والسلطان !..

قال : لا تخف ، اني عليم بكل شيء .

قلت : جعل الله النتيجة خيراً !.

جرى هذا الحوار بصوت طبيعي ، لا نزق فيه ولا نبرة استياء ، ونحن وقوف لا يفكر احد منا بالجلوس ، وقطرش وبنيّان معنا، واقفان، يسمعان ولا يقولان كلمة .

عدت الى حلب ، واقمت انتظر ! لا اسبوعاً واحداً ، بل اسابيع عديدة .

ولما طال انتظاري دون جدوى ، وجهّت الى الشيشكلي رسالة مسهبة شرحت له فيها قضيتي فتلقيت منه رسالة « تؤكد لي ان ثقته بي لا تزال كما كانت في الماضي ، واني لا ازال موضع تقديره واعجابه ، وان المستقبل كفيل بان يظهر لي ذلك بوضوح ! » (راجع الوثائق في آخر الكتاب) .

وبقيت هكذا سنة كاملة تقريباً ، تحت المراقبة الشديدة . وكان آمر اللواء في حلب المقدم محمد مهنّا ، وقد استدعاني مرات عديدة وسألني: « أصحيح انك تذهب ليلاً الى دمشق لتتصل ببعض الناس ؟ » فكنت اجيبه ان ذلك غير ممكن بالنظر الى بعد المسافة بين حلب ودمشق ، وقلت له مرة ان مروّجي هذه الشائعات يتحاملون عليّ لغاية في نفوسهم . ومهما يكن الامر ، فانا هنا ، حاضر . وفي وسعكم ان تعملوا بي ما يطيب لكم .

وفي تلك الاثناء أُنشيءفوج الاسناد الثاني وأُسندت قيادته اليّ بموجب امر من قيادة الاركان العامة ، فاستغرق تدريب هذا الفوج تسعة اشهر ، ثم صدر امر يقضي باتباعي دورة اجتياز رتبة لبلوغ رتبة مقدم ، فذهبت الى دمشق ، وتبعت الدورة ، وبعد نجاحي عدت الى حلب .

وفي ١ شباط ١٩٥٣ صدر امر باحالتي على التقاعد مع لائحة التسريحات والاعتقالات التي اذيعت بالراديو ونشرت في الصحف .

بذلك انقطعت آخر علاقة كانت تربطني بالشيشكلي . فقد عرفته لأول مرة سنة ١٩٤٥ في اللاذقية ، يوم وقع العدوان الفرنسي على سوريا ، فكنت معه في تلك المعركة جنباً الى جنب ، وقمنا بالمهمة الملقاة على عواتقنا خير قيام ، اذ انقذنا ارض الوطن من المعتدين ، وقضينا على البقية الباقية من قوى الاستعمار .

لقد نمت صداقتنا على اساس العقيدة القومية الاجتماعية التي نعتنقها ، تعززها الروابط العسكرية والعمل في سبيل واحد . وكان من الطبيعي ان يكون تفاهمنا تاماً في مثل هذه الحال ، فما اقدمنا على امر إلا نجحنا ، ولا انتدبنا لمهمة الا حققناها على الوجه الاكمل ، حتى كان الانقلاب على الحناوي الذي اوصل الشيشكلي الى ذروة السلطان .

اما من الناحية الشخصية فقد ظلت علاقتي به ، طوال تسع سنوات ، مبنية على المحبة الاخوية والولاء المتين ، فكنا نقضي اوقات الفراغ معاً ، ونجتمع في السهرات فنلهو ونطرب ، حتى اننا كنا نلتقي كل ليلة تقريباً حول طاولة شراب او مائدة طعام ، سواء أكان في بيوتنا ام في الملاهي .

ولكن، عفا الله عن الطموح ، فهو الذي غيّر الشيشكلي واحدث في نفسه انقلاباً كبيراً ، فغدا كثير الظنون ، يشك باقرب الناس اليه واصدقهم غيرة عليه ، ولا يتردد في العمل الفوري لسحق كل من يحاول الوقوف في طريقه .

هذا ما اكتشفته فيه تدريجياً ، اذ بدت خفايا نفسه في اعماله وسلوكه وتبدل طبعه وعاداته واساليبه حتى في حياته الخاصة وفي بيته .

نهاية عهد الشيشكلي

ان التسريحات التي امر بها الشيشكلي ونفذها في ١ كانون الثاني ١٩٥٣ ، صدر بشأنها مرسوم يحمل الرقم ١٣٤٩ بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٥٢ ، وقد شملت حوالي اربعين ضابطاً ، منهم ضباط قادة ، واذيعت من دار الاذاعة السورية قبل صدور المرسوم ونشره . واقدم الشيشكلي على اتخاذ هذه التدابير بوصفه رئيس الاركان العامة ، ونائب رئيس الدولة ، ونائب رئيس مجلس الوزراء .

على اثر هذه الاعمال التعسفية ، أخذ الضباط الناقمون يفكرون باللجوء الى حركة انقلابية غايتها التخلص من عهد الشيشكلي المقنع الذي جعل فوزي سلو ستاراً شفافاً لا يخفي شيئاً من اعمال المسيطر الحقيقي الساعي الى اهدافه بخطى ثابته .

ولكن تلك الفكرة مُنيت بالاخفاق ، وخنقت في المهد ، بفضل سهر المكتب الثاني ووجود انصار الشيشكلي واعوانه ومؤيديه في مراكز الجيش الحساسة .

وكنت احد الضباط المسرحين الناقمين على العهد ، فأخذت العناصر السياسية المعارضة من حزب الشعب تتصل بي عن طريق بعض العسكريين الشعبيين ، اي المنتمين الى حزب الشعب ، في حلب ، اذكر منهم المقدم زياد الاتاسي ، والمقدم محمد دياب والمقدم سليمان ناجي ، والمقدم اكرم عكر ، اذ انهم بعد فشل جهودهم الانقلابية راحوا يفكرون بالاغتيال...

جاءني يوماً المقدم محمد دياب ، والمقدم سليمان ناجي في حلب وعرضا عليّ ٢٠٠ الف ليرة سورية في مقابل ذهابي الى دمشق وتشكيل فرقة اغتيال غايتها ازاحة الشيشكلي .

والذي دفع المعارضين الى مفاوضتي والاتكال عليّ هو ما عُرف عن جهودي الانقلابية السابقة ونجاحي التام في جميع المهمات الخطيرة التي أُسندت اليّ ، في حركة حسني الزعيم . ثم في حركة الحناوي واخيراً في حركة الشيشكلي ...

ولكني استمهلتهم اسبوعاً لاعطاء الجواب ، ولم اشأ ان ارتجل الحل من تلقاء نفسي ، فكتبت تقريراً مفصلاً بهذا الشأن ورفعته الى المراجع الحزبية العليا بواسطة المنفذية العامة للحزب القومي الاجتماعي في حلب .

ولكن الوقت كان اسرع من عودة الجواب ، فلم ينتظرني المعارضون ، بل اخذوا يلحون عليّ طالبين الاسراع في العمل ، فصرفتهم عن فكرة الاغتيال لاني كنت واثقاً كل الثقة بان

المراجع الحزبية لا توافق ، ولا يمكن ان توافق على اعتماد الغدر ، ولاني كنت شخصياً اشجب الاغتيال واعتبره ضرباً من النذالة .

واقتنع المعارضون بوجهة نظري لاني بينت لهم انالطريقة التي يريدون انتهاجها لا تجدي ، ثم قلت لهم : « اذا كنتم ترون ان الاحوال غدت لا تُطاق: وانه لا بد من القيام بعمل حاسم ، فليس لنا الا « الانفصال » ، اعني الانفصال عن دمشق موقتاً ، وحشد قوانا في المناطق الشمالية ، اي حمص واللاذقية وحلب ودير الزور ، والعمل للحصول على مؤازرة شعبية فعّالة قوية ... فبهذه القوى المتضافرة فقط نستطيع ان نُسقط الشيشكلي ! »

وبالفعل اخذ المعارضون بهذه الخطة التي نجحت –كما كنت اتوقع – في ٢٤ شباط ١٩٥٤ .

على اثر تلك الحوادث، استُدعيت من قبل قوات المناطق، وخصوصاً من قبل العقيد فيصل الاتاسي – وهو شعبي – وقائد منطقة حلب ، فذهبت على رأس فوج اسناد « مدفعية » وفوج مشاة منقول ووصلت الى حمص حيث كانت قيادة المناطق. ومن هناك زحفت صوب دمشق برفقة المقدم بكري قطرش ، فتمركزنا على «الثنايا» ، قبل دمشق بثلاثين كيلومتراً، وبقينا هناك يومين نهدد القوات الموالية للشيشكلي المحتشدة في

العاصمة ، وفيها الرئيس حسين حده في المدرعات ، والرئيس عبد الحميد السراج، والضابطان غالب شقفة وبكري الزُبرَي وقدكان هذان الاخيران في فوجي، واشتركا معي في الانقلابات السابقة .

ولكن قوات دمشق خضعت للامر الواقع ، وأبت ان تُسفك دماء ابناء الوطن الواحد في معركة داخلية ، فغادر الشيشكلي البلاد وتألفت الوزارة الجديدة بعد ان اتى شوكت شقير الى حمص .

وبعد مضي اسبوع تألفت لجنة لدراسة احوال الضباط الذين سرحوا في عهد الشيشكلي واعادتهم الى الخدمة ، فسيطر عدنان المالكي على تلك اللجنة بمساعدة شقير الذي تولى رئاسة الاركان العامة ، فاعيد الى الخدمة ثلاثون ضابطاً من البعثيين والاشتراكيين والاعوان، وثلاثة من الضباط القادة، وظل الباقون خارج الجيش .

في اثناء الحركة الانقلابية على الشيشكلي ، لما وصلت الى حمص ، توجهت فوراً الى مركز قيادة المناطق ، فوجدت قائد المناطق محمود شوكت ، وعدنان المالكي وغسان جديد وغيرهم من الضباط ، فما كدت ادخل حتى صرح المالكي بانه يستغرب عودتي الى صفوف الجيش وقال مشيراً اليّ :
« ان ابا منصور هذا يعمل انقلاباً وهو في القبر ! »

ولما شاعت « الارادات » المعروفة ابقائي بعيداً عن الجيش عملا بايعاز اللجنة التي مر ذكرها ، عُرضت عليَّ ، بواسطة الاركان العامة وشوكت شقير، ترضية هي وظيفة في شركة النفط العراقيـــة في حمص بمرتب شهري قدره ٥٠٠ ليرة ، ولكني رفضت لاني جندي احب الجيش وافديه واعتبر ابتعادي عنه ضربة قاضية عليّ ، واحس باني غريب شريد ما دمت بعيداً عن صفوفه .

خاتمة

لما سرحني الشيشكلي سنة ١٩٥٣ كنت في حلب شبه محجوز لا استطيع القيام باية حركة ، فحلت بي ازمة مادية قاسية . حاولت ان اتعهد وكالة اليانصيب اللبناني في حلب حيث كان اميل شوحه متعهداً عاماً ،فقدمت طلباً الى المحافظ بهذا الشأن وجئت الى بيروت فقابلت نصري حداد ، ولكن هذا الاخير رفض انتزاع الرخصة من اميل شوحه . وعلمت بعدئذ ان شوحه راح يشكوني الى الشيشكلي الذي عارض مشروعي .اتصلت بسعيد تقي الدين وفؤاد ابي عجرم وجورج حكيم الذي كان وزير المالية ، ولكن مدير اليانصيب نصري حداد ابى ان يلين او ان يتنازل عن اميل شوحه . فذهبت الى سامي الصلح بواسطة احد محاسبيه (اسمه البير) وشرحت له قضيتي فطلب مني ٣ آلاف ليرة ليساعدني بوصفه محامياً، اذ انه لم يكن في الحكم آنذاك. عملت له كمبيالة بالمبلغ واخذت الوكالة . وكان لي شريك ثري هو عبد القادر محوك فدفع الضمانة ، وقدرها ٥٠ الف ليرة ثم اخذنا نشتغل .

ولكن شوجه شرع يضاربنا بالترخيص ، فهددته ثم تصالحنا. كان قد عرض علينا ٣٠ الف ليرة سورية بواسطة المكتب الثاني السوري في حلب ، ورئيسه آنذاك الرئيس راشد قطيني ، فرفضنا ، ثم رضينا بخمسة آلاف دون وساطة احد وتركنا اليانصيب .

وفي تلك الاثناء ، التقيت بصلاح الشيشكلي في بيروت ، في بيت طالب الحراكي ، نائب معرة النعمان ، وكان طالب حاضراً .

قلت لصلاح : « ما هذه الاعمال الشاذة التي يقوم بها اخوك اديب ؟ »

فتدخل الحراكي في الحديث ثم اخذني على حدة وقال لي : « سألت اديباً عنك منذ حين فاجابني : انت لا تعرف ابا منصور ... هل في العالم انسان يُبلّع الافعى بيضات ؟ دعوه يموت على قارعة الطريق ! »

لم يدهشني هذا القول من الشيشكلي الذي تملكه الغرور، فعدت الى حيث كان صلاح وقلت له : « قل لاديب ان الايام بيننا ... لن اطلع من حلب قبل ان يطلع هو من الحكم ! »

وبعد حين التقيت بصلاح من جديد ، فسألته عما اذا كان قد نقل كلامي الى اخيه ، فاجاب بانه نقله ، وبان اديباً قال متهكماً : « دعه يبلط الزرقا ... »

غادرت حلب بعد ذهاب الشيشكلي واتيت الى جبل الدروز حيث انصرفت الى العمل القومي الاجتماعي، ولما قتل عدنان المالكي اصبح القوميون الاجتماعيون عرضة للمطاردة من قبل الجيش والبعثيين فانتقلت من السويداء الى قرية ارساس حيث نمت ليلة ثم ذهبت الى منزل يحيي الاطرش، ابن الامير حسن ، وارسلت خبراً الى المركز عن اعتقال المنفذ العام غالب الاطرش ، وناظر الاذاعة وغيرهما . وكان رسولي الى المركز جمال الاطرش ، فأتى اليّ بعد حين الامين محمد العريضي مع الرفيق توفيق نور الدين .

قابلت الامين محمد العريضي في دار يوسف الاطرش، وبعد مضي اسبوع عزمت على الذهاب الى بيروت .

انطلقت جرياً على القدمين ، مع خمسة رفقاء ، من قرية « عرى » الى ازرع . جئنا عن طريق القنيطره — الجولان وكنا نسير ليلا ونختبيء نهاراً حتى وصلنا الى «دورين» الواقعة في اسفل جبل الشيخ ، ثم سرنا الى « بيت جن » فوصلنا اليها في الساعة الثامنة صباحاً .

وكان الرفقاء قد جاعوا ، فبقي معي اثنان منهم وذهب ثلاثة الى القرية ليشتروا طعاماً ، على ان نلتقي في « مزرعة ابو مرة » . فما كدنا نطل على احد مرتفعات الجبل حتى رأينا جندياً يصوب الينا فوهة بارودته ويصيح بنا : « قف ... مكانك ! »

قلت للرفقاء : « يجب ان نشلحه هذه البارودة كيفما كان الامر ! »

فأجابني احدهم : « اذهب انت ، ودعنا هنا نحاوره ! »

وما إن سرت مسافة ٢٠٠ متر ، حتى رأيت حوالي ٧٠٠ رجل من الجيش والشرطة والدرك والأهالي ، فأدركت ان الرفقاء الذين ذهبوا الى « بيت جلي » قد اعتقلوا واضطروا، تحت الضغط الشديد والتعذيب ان يعترفوا بوجودنا .

اجتنبت تلك الجماعة وانطلقت صوب قمة الجبل ، فلم يستطع احد اللحاق بي ، ولم يصل اليّ الرصاص الذي اطلق لقتلي . وصلت الى القمة المتوجة بالثلج ، وكانت ثيابي قد تمزقت ، وغدوت حافياً ، اذ فني حذائي وما بقيت منه غير فرعته الحمراء ، اكلت ثلجاً ، واشعلت سيكارة ، وجلست استريح مسرحاً انظاري في الافاق .

يا له من مشهد تتلخص فيه معاني الجمال والعظمة والجلال !.

أشكل عليّ الامر ، فما عدت اعرف اذا كان بهاء السماء ينعكس على القمم والسفوح والوهاد والاودية ، ام اذا كان رونق الغابات السندسية ، وكبر الصخور المشرئبة العاتية ، وروعة الاكام المترامية هي التي تنعكس على صفحة السماء !.. ولكنني أدركت في أعماقي ان هناك ، على القمة ، فوق الرغام حيث يشف الجو ، ويرق الهواء ، ويمتد النظر ، لا فرق بين أرض وسماء ! .

نسيت اني حاف ، جائع ، مطارد ، وملأني شعور بأني في حمى القمة ، في جوار النجوم ، في مكان من بـلادي يمثل شموخ امتي ، وارتفاع هامتهـا الخالدة فوق مجاري الزمان ، فوق صروف الحدثان ، فوق عهود الانحطاط والكوارث والآلام ، فانتعشت ، وتنفست مـلء صدري ، فاذا بقوة جديدة تتـدافع محتدمة في مفاصلي ، واذا بـ « الصعوبة » تذوب امامي وتتلاشى ، واذا بي اجتاز المسافات ، في يقيني، قبل ان انقل اليها قدماً .

فيا حرمون !

يا اخا الزمان ، وقطب التاريخ ، وصنو الآلهة !

هوذا مذاق ثلجك في فمي ، وهوذا جلالك ذخـيرة في دمي ...

أبلغ درس في حياتي تلقيته من وقفة في ذراك !

واعظم أمثولة استوعبتها نفسي ، أُنزلت عليّ من وحيك !

يا قمة من بلادي اهتفي بان امتي قمة بين الامم !

ويا حرمون اشهد بان معناك ومغزاك في صدورنا نحن ، وفي ايماننا نحن ، وفي دمائنا نحن ، نحمله نبراساً مشعاً هادياً حتى يفيق الحق ويموت الضلال !

القيت نظرة الى الاعمـاق ، فرأيت رجلين يصعّدان في الوعر . اشارا اليّ فعلمت انهما رفيقان ، وحوالي الساعة الثالثة

وضلا ، وكان احدهما يحمل الاخر ، وكان المحمول يتقيأ ويكاد يلفظ انفاسه .

كانت معنا بقية من الخبز اكلناها بالثلج ، ثم سرنا ثلاث ليالٍ واختبأنا ثلاثة ايام .

وصلنا الى مرجة في لبنان ، فرأينا رعاة مسلحين . سلمنا عليهم فردوا بقساوة ، وسأل احدهم : « مين الزلم ؟ » قلت: « من حوران . اضعنا ابقارنا ، كانت في الجولان، فقيل لنا ان اللصوص بالكفير ... »

دلونا على بلدة اسمها « شويا » وسألنا احدهم : « معكم دخان ؟ » فأعطيته علبتي ، ورحنا نجتاز جبلا بعد جبل حتى كدنا نسقط من العياء .

نمنا ساعة زمان في العراء ، ثم أيقظت رفيقيّ واستأنفنا السير حتى وصلنا الى طريق مزفتة ..

الى أية جهة نسير ؟ يميناً ام يساراً ؟

سرنا حسب الوحي ، فاذا نحن نمشي الى شبعا وحاصبيا .

وصلنا الى شويا فقال فهد بوسعد : « لي في هذه القرية صديق » . ذهبنا اليه فاستقبلتنا زوجته في بيت متواضع :

ــ خير ان شاء الله ؟

ــ اضعنا بقرة !

ــ اهلا وسهلا .

وأيقظت اطفالها ودعتنا الى الجلوس ثم استدعت احـــد اقاربهـــا فعرف فهداً الذي اخبره من نحن ، فبدأت مراسم الترحيب .

قلت : « دعوني انام ! » فنمنا حتى صباح اليوم التـالي وبقينا هناك يومين ، ثم ركبنا البوسطة وتوجهنـا الى بيروت حيث قابلت الامين عبدالله قبرصى ، ثم التحقت بغسان جديد.

وبعد ...

ماذا جرى في الشام بعدئذ ؟

ماذا جرى في لبنان حتى هذه الساعة من آب ١٩٥٩ ؟

ان لي في هذه الفترة مذكرات ، وذكريات ، وصفحة من حياة ...

قد تظهر اذا دعت الحاجة ، او لا تظهر اذا لم تندمل الجراح !

وقد انشرها في مستقبل قريب ، وقد احملها معي الى ظلمات التراب .

لمحة عن خدماتي العسكرية

– تطوعت في الجيش في ١٦ نيسان ١٩٢٨ ، ثم عُينت في كوكبة الفرسان الخامسة .

– صرت جندياً صف اول في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٣ بموجب امر من قائد المجتمع بتاريخ ٢٣ تشرين الاول ١٩٣٣ .

– رُفعت الى رتبة عريف في ١ آذار ١٩٣٥ ، بموجب قرار رقم ٧٠١ ، بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٣٥ .

– نُقلت الى كوكبة الفرسان السادسة في ١١ ايلول١٩٣٧!

– رُفعت الى رتبة نائب في ٥ شباط ١٩٣٨ بموجب قرار رقم G. D. ٥٥١ بتاريخ ٥ شباط ١٩٣٨ .

– نقلت الى كوكبة الفرسان الاولى اعتباراً من ١ ايار ١٩٣٨ ، بموجب امر اداري رقم ١٤١٣ / ن.س. بتاريخ ٨ نيسان ١٩٣٨ الصادر عن الفريق القائد العام الاعلى لجيوش الشرق .

– نلت شهادة آمر فصيل في ٢٨ ايار ١٩٤٠

ـ التحقت بالقوى البريطانيــة في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ لاسباب خاصة .

ـ عدت فالتحقت بقطعات جيش الشرق في ٣١ تشرين الاول ١٩٤٠ .

ـ رفعت الى رتبة نائب اول في ١٥ نيسان ١٩٤١

ـ رفعت الى رتبة وكيل اول في ٣١ تشرين الاول ١٩٤١

ـ رفعت الى رتبة ملازم في ١ نيسان ١٩٤٢ بموجب امر خاص ، رقم ٢٢ بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٤٢ .

ـ التحقت بالقوى الوطنية في ٢٩ ايار ١٩٤٥

ـ استلمت قيادة الكوكبة السادسة من كتيبة الفرسان الثانية .

ـ عُينت في كتيبة الفرسان الثانية ابتداء من ١ ايلول ١٩٤٥ بموجب امر اداري رقم ٥٥/٣ ، بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٥ الصادر عن رئاسة الاركان العامة .

ـ رُفعت الى رتبة ملازم اول ابتداءً من ١١ تشرين الثاني ١٩٤٧ بموجب المرسوم رقم ٨٣٥ ، بتاريخ ٨ نيسان ١٩٤٨

ـ نقلت الى فوج المدرعات الأول في ١ تموز ١٩٤٨ بموجب امر اداري رقم ١٠١٣/س.ض. بتاريخ ١ تموز ١٩٤٨ الصادر عن القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة .

ـ منحت قدماً ممتازاً مدته سنة واحدة بموجب مرسوم

رقم ٢٥٦ بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٤٩ صادر عن دولة الزعيم رئيس الوزراء القائد العام للجيش والقوى المسلحة .

– رفعت الى رتبة رئيس في ٦ ايلول ١٩٤٩ بموجب مرسوم رقم ١٠٢ صادر عن رئاسة مجلس الوزراء في ٥ ايلول ١٩٤٩، وقد عممته رئاسة الاركان العامة في ٧ ايلول ١٩٤٩ تحت رقم ١٨٥٦ /س.ض/ ١

– منحت قدماً ممتازاً مدته سنة واحدة برتبة رئيس بموجب قرار رقم ٥٩٧ صادر عن وزارة الدفاع الوطني بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٤٩ وقد عممته رئاسة الاركان العامة في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٩ تحت رقم ٢٢٩ /س.ض.

– منحت سنة قدماًممتازاً برتبة ملازم اول ، تعتبر خدمة فعلية بالنظر الى التحاقي بالقوى الوطنية في اثناء الحوادث عام ١٩٤٥ ، وذلك بموجب قرار وزاري رقم ٣٧ بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٥٠ ، وقد عممته رئاسة الاركان العامة في ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٠ تحت رقم ١٠٢/س.ض/ ١ .

– نقلت الى كتيبة المدرعات الثانية آمراً للكتيبة اعتباراً من ١ تموز ١٩٥٠ بموجب امر اداري رقم ٦٠٢/س.ض ،صادر عن رئاسة الاركان العامة بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٥٠ .

– نُقلت الى سرية مقر اللواء الثاني آمراً للسرية ابتداءً من ٢٠ ايار ١٩٥١ .

– عُينت آمراً لفوج الاسناد الثاني بموجب امر من رئاسة الاركان العامة رقم ٢٨٦ / س.ض، بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٥٢.

– اتبعت دورة اجتيـــاز الرتبة لبلوغ رتبة مقدم في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

– احلت على التقاعد بموجب المرسوم رقم ١٣٤٩ بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٥٢ واعتباراً من ١ كانون الثاني ١٩٥٣ .

– اشتركت عملياً في الانقلاب على الشيشكـلي ولكني لم أعد الى الجيش مع الضباط الذين أعيدوا .

القطعات التي قدتها في الجيش

– فرقة حرس الفرسان في المفوضية العليا – قصر الصنوبر بيروت – من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٤ برتبة ملازم .

– كوكبة الفرسان الثانية للكتيبة الرابعة من ٢٣ كانون الاول ١٩٤٥ الى ٣٠ حزيران ١٩٤٨ برتبة ملازم اول.

– سرية المدرعات الثانية لفوج المدرعات الاول من ١تموز ١٩٤٨ الى ١٢ حزيران ١٩٤٩ برتبة رئيس .

– كتيبة المدرعات الاولى من ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ الى ٣٠ حزيران ١٩٥٠ برتبة رئيس .

– كتيبة المدرعات الثانية من ١ تموز ١٩٥٠ الى ١٦ ايار ١٩٥١ برتبة رئيس .

– سريـــة مقر اللواء الثاني من ١٧ ايار ١٩٥١ الى ٢٩ شباط ١٩٥٢ برتبه رئيس .

– فوج الاسناد الثاني من ١ اذار ١٩٥٢ الى ١ كانون الثاني ١٩٥٣ .

الدورات التي اتبعتها

– دورة آمر فصيل ، في دمشق ، لمـدة ستة اشهر ، سنة ١٩٤٠ . نلت شهادة آمر فصيل بتاريخ ٢٨ ايار ١٩٤٠ بدرجة جيد وعلامة ١٥٫٦٠ .

– التحقت بالكلية العسكرية في حمص لمدة سنة بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩٤٣ حتى ١ تشرين الثاني ١٩٤٤ .ورفعت الى رتبة ملازم .

– دورة الضباط في اجتياز الرتبة ، على يد مدربين المان برتبة عقيد وزعيم ، وذلك لارتقي من رتبة رئيس الى رتبة مقدم حسب البرنامج .

الاوسمة والاثنية التي نلتها

– ثناء صادر عن رئاسة الاركان العامة في ٢٣ آب ١٩٤٩ رقم ١٧١٥ /س.ض.١. وقد جاء فيه : « آمر السرية الثانية لفوج المدرعات الاول ، اشترك ، على رأس سريته بمكافحة حريق واسع كاد يطغى على احدى وحدات فوج المدرعات الاول . كانت تتمركز في خط الدفاع الكائن على بضعة كيلومترات من بناية الجمرك على الحدود الفلسطينية السورية »

اما الاقتراح الصادر عن قيادة الفوج فهذا نصه :

« شب حريق في منطقة تمركز احدى السرايا . كاد يلتهم ذخيرة وآليات تلك السرية ، فساهم على رأس سريته باخماد النار ، مندفعاً بحماس منقطع النظير ، مقتحماً ألسنة اللهيب والنار المتأججة في سبيل القيام بالواجب ، حتى تمكن من اخمادها حيث نال كل اعجاب وتقدير ».

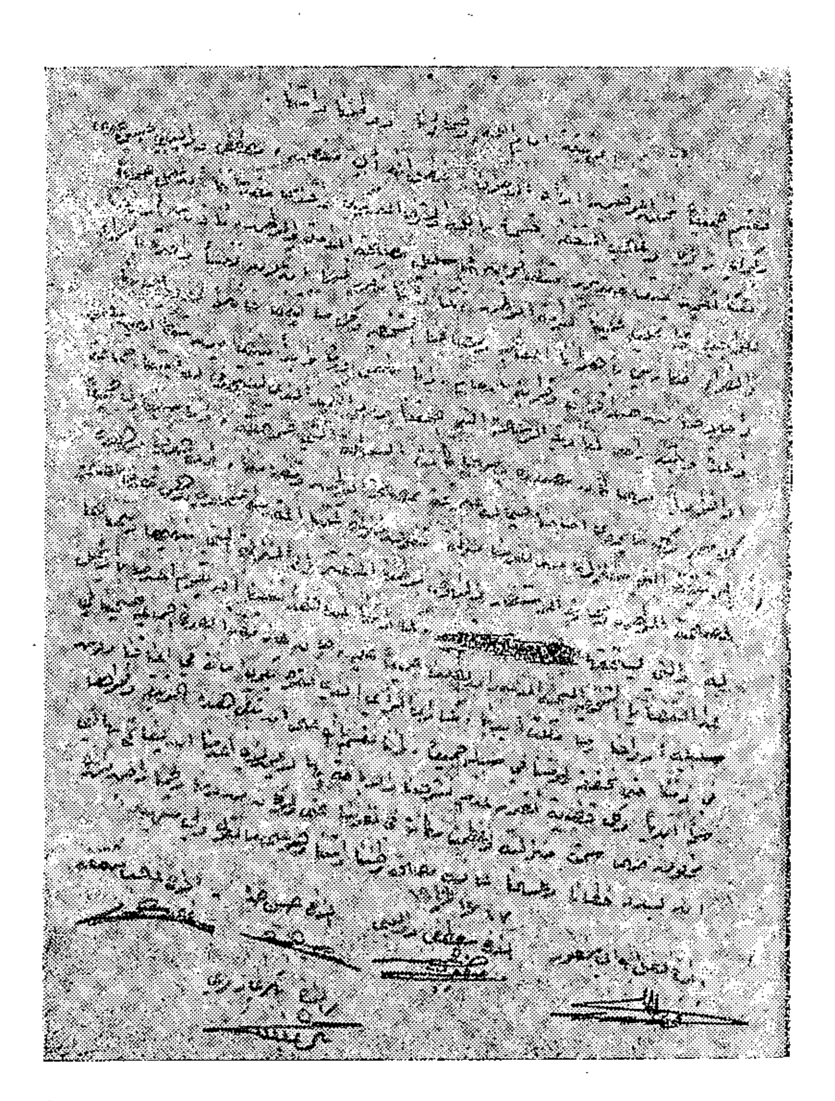
– ثناء صادر عن آمر اللواء الثاني وموقع حلب ، تحت رقم ١/١/٩١ بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٠ ، وجاء فيه :

« يثني على آمر كتيبـــة المدرعات الثانية وضباطها وعسكرييها لما شاهده من نظافة الثكنة وحسن العناية بمعدات الكتيبة وآلياتها .

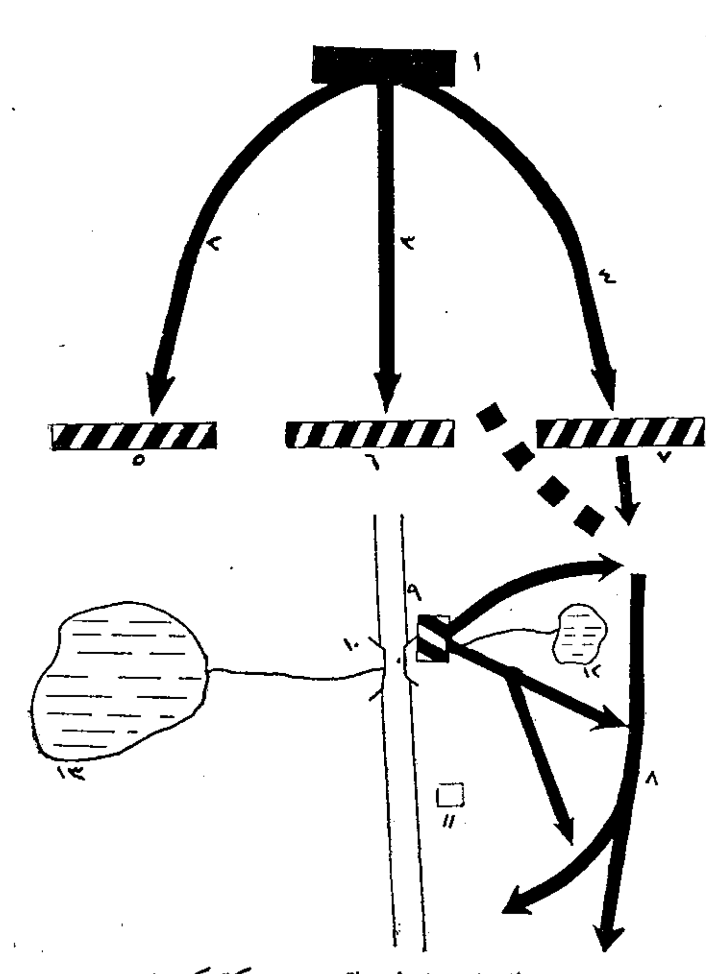
— وسام الاخـلاص مع السعف بموجب قرار رقم ٥١٧ بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٤٧، وذلك على اثر حوادث ١٩٤٥ والتحاقي بالقوة الوطنية في ٢٩ ايار ١٩٤٥ .

— الوسام الحربي من الدرجة الثانية ، بموجب مرسوم رقم ٤٤٦ بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٩ بسبب معارك فلسطين .

— وسام فلسطين التذكاري لعام ١٩٤٨ بموجب قرار آمر رئـــاسة الاركان العامة رقم ١٣٠ / ١٢٢ / ١ ، استناداً على المرسوم رقم ٩ بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، وذلك على اثر معارك فلسطين .



وثيقة قسم الضباط للقيام بالانقلاب الثالث



خريطة تقريبية لمرحلة من معركة كعوش

١ ــ روشبينا ــ او عين العجلة ــ وهي القرية التي انطلق منها الهجوم الاسرائيلي .

٢، ٣ ، ٤ ، ــ شكل الهجوم الاسرائيلي ، وقد اوقفت القوات السورية السهمين ، ٢و٣ اما السهم ٤ فقد اخترق الجبهة السورية واخذ يهدد بناية الجمرك على مقربة من جسر بنات يعقوب .

٥، ٦، ٧، ــ الجبهة السورية .

٨ ــ شكل انطلاق السهم الاسرائيلي الذي اخترق الجبهة السورية .

٩ ــ المكان الذي انطلق منه صاحب هذه المذكرات للقضاء على القوة الاسرائيلية التى اخترقت الجبهة السورية .

١٠ــ جسر بنات يعقوب

١١ ــ بناية الجمرك السوري .

١٢ ــ الحوله

١٣ ــ طبريا

الجمهورية السورية
رئاسة الاركان العامة
الشعبة الثالثة
رقم ٥ / ١ / ٣٠ س

سري

قرار رقم ١

بتشكيل المجلس الحربي

مادة اولى : – يشكل المجلس الحربي كما يلي :

الزعيم	فوزي سلو	رئيسا	العقيد	محمود بنيان	عضوا
=	انور بنود	نائبا للرئيس	=	امين ابو عساف	=
العقيد	اديب شيشكلي	عضوا	المقدم	علاء الدين سطاسي	=
المقدم	عزيز عبد الكريم	عضوا	الرئيس	فضل الله ابو منصور	=
=	توفيق نظام الدين	=	=	حسني الحكيم	=
=	شوكت شقير	=			

مادة ثانية : – يعتبر [illegible] الالوية وآمر [illegible] الاسلحة اعضاء اضافيين بحكم وظيفتهم .

مادة ثالثة : – يدعى المجلس الحربي للاجتماع بدعوة من رئيسه كما تعتبر الجلسة قانونية اذا حضرها ثلثا اعضائه .

مادة رابعة : – يتولى هذا المجلس [illegible] الامور التي تتعلق بسلامة البلاد والنظام الجمهوري وسلامة الجيش وكيانه .

مادة خامسة : – تتخذ المقررات بالاكثرية [illegible] الاصوات [illegible] الجهة التي يكون الرئيس بجانبها

مادة سادسة : – يمارس المجلس عمله اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار ولا يحل الا بقرار من الاعضاء الاصليين يتخذ بالاكثرية .

دمشق في ١٩ / ١٢ / ١٩٤٩

المقدم عزيز عبد الكريم — العقيد اديب شيشكلي — الزعيم انور بنود — الزعيم فوزي سلو

المقدم توفيق نظام الدين — المقدم شوكت شقير

العقيد محمود بنيان — العقيد امين ابو عساف — المقدم علاء الدين سطاسي

الرئيس حسني الحكيم — الرئيس فضل الله ابو منصور

الرئيس فضل الله ابو منصور

وثيقة تأليف المجلس الحربي الاعلى بعد الانقلاب الثاني الذي اطاح بعهد حسني الزعيم . راجع الصفحة ٦٣ ــ ٦٦

الجمهورية السورية
رئاسة الاركان العامة — دمشق في ٢٧ / ١١ / ١٩٤٩
الشعبة [illegible]
رقم ٦٠٥ [illegible]

وثيقة

ان اللواء محمد سامي الحناوي رئيس الاركان العامة يشهد ان المعطف العائد الى الرئيس فضل الله ابو منصور من كتيبة المدرعات الاولى والموجود حاليا بحوزته كان قد ارتدي من قبل المشير حسني الزعيم رئيس الجمهورية السابق قبل وخلال تنفيذ الاعدام به ولا زال [illegible] به من [illegible] من عملية الاعدام هذه وللبيان اعطي هذه الوثيقة .

رئيس الاركان العامة
اللواء محمد سامي الحناوي

رئاسة الاركان العامة

ان المعطف الذي كان يرتديه حسني الزعيم في اثناء اعدامه هو معطف صاحب هذه المذكرات الذي يحتفظ به حتى اليوم ، وفي نص هذه الوثيقة الرسمية مـــا يثبت ذلك . راجع الصفحة ٧٥

الجمهورية السورية — دمشق في ٣٠/٥/١٩٥١

رئاسة الأركان العامة

الشعبة الأولى

إلى قيادة اللواء الثاني

رقم / ٢٩٦٣ / سري / ١

عطفاً على حاشيتكم رقم ١٣٩٦/سري/١ تاريخ ٢٦/٥/١٩٥١ المسطرة على طلب الإحالة على التقاعد

المقدم من قبل الرئيس أول فضل الله أبو منصور آمر سرية مقر اللواء .

يطلب إبلاغ هذا الضابط عدم الموافقة على تلبية طلبه في الوقت الحاضر ، وفي حال إصراره على الاستقالة

يقدم طلب آخر بعد مضي شهرين من تاريخ تبليغه هذا الكتاب .

بأمر رئيس الأركان العامة

العقيد أديب الشيشكلي ـ التوقيع ـ [illegible]

حلب في ٢/٦/١٩٥١

قيادة اللواء الثاني [illegible]

الشعبة الأولى

رقم / ٤٢٣ / سري / ١ — صورة طبق الأصل للمس[illegible]

أرسلت إلى آمر سرية مقر اللواء الثاني ((للاطلاع)) [illegible]

قائد اللواء الثاني — [illegible]

وثيقة رفض الاستقالة التي قدمها صاحب هذه المذكرات

من حلب ، راجع الصفحة ١١٩

الجمهورية السورية
رئاسة الأركان العامة للجيش

سيدي العزيز

لقد كتب رئيس الاركان العامة جواباً على كتابكم المؤرخ
في ٦/٦/١٩٥١ بأنه أؤكد لكم بأن ثقتي بكم لا تزال
كما كانت في الماضي وانكم لا تزالون موضع تقديره واعجابه ومن
المستغرب القليل بانه يظهر لكم ذلك بوضوح.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والسلام

دمشق في ٢٠/٧/١٩٥١

رئيس الأركان العامة
الزعيم أديب الشيشكلي



الرئيس فضل الله ابو منصور

احدى رسائل الشيشكلي الى صاحب هذه المذكرات راجع الصفحة ١٢٢

